جمال عبد الناصر والثورة

بقلم

أنور الجندي

٢٣ يوليو

مقدمة

فى عيد الثورة الثالث • فى هذا اليوم الخالد ، ٢٣ يولية • يسرنى أن أقدم الى الشعب الذى أحب هذه الثورة وأيدها ووقف خلف قائدها المظفر جمال عبد الناصر ـ يسرنى أن أقدم صورة من حياة هذا البطل الذى جعل الجلاء حقيقة لا خيالا وانتصر على ساسة الانجليز واستخلص منهم حق البلاد بعد أن فشل حكام مصر من محترفى السياسة منذ ١٩١٩ حتى قبل الثورة فىالوصول الى هذا الحق، بعد سبعين عاما كاملة عاشت مصر خلالها فى ظلمات الاستبداد والاستعباد •

أقدم صورة لثورة جمال عبد الناصر الذى قضى على الاقطاع وحدد الملكية الزراعية وأعاد الأرض الى أصحابها • والذى طرد الطاغية وطهر البلاد من تجار السياسة المفسدين الذين أكلوا أرزاق الشعب وأذلوه وأثروا على حسابه والذى قضى على الظلم الاجتماعى والفوارق الواسعة بين الطبقات ودعم الاقتصاد المصرى فأنشأ البنك الصناعى ومصانع الحديد والصلب ونقل مشروع كهربة خزان أسوان من الورق الى الطبيعة بعد سنوات وسنوات وبدأ تنفيذ مشروع السد العالى والمشروعات الاقتصادية الأخرى التى تقوم على أسس علمية صحيحة •

من هو جمال عبد الناصر الذى صنع كل هذا : هل هو انسان خارق للعادة أو من طينة أخرى غير طينة البشر ؟

الحق ان جمال عبد الناصر ليس شيئا منهذا كله وانما هو مواطن عادى • وولد فى قرية بنى مر احدى قرى أسيوط ونشأ فى محيط الشعب فقيرا من اسرة كادحة من اسرا الفلاحين التى تزرع وتقلع فى سبيل لقمة العيش ••

ومن هذه القرية أخذ الخيط الأول من خيوط رسالته فقد اندلعت الثورة المصرية سنة ١٩١٩ وشارك فيها أهله وجيرانه وسمع حديثها وقصتها وهو طفل صغير وتجمعت فى نفسه صورة صارخة لظلم الانجليز واستبداد الانجليز •

فلما غادر القرية الى القاهرة واجهته صور متعددة من أعمال هذا الاستعمار كان أقواها تصريح هور عام ١٩٣٥ فقاد الثورة ضد

الانجليز وخرج بأبناء مدرسته فى مظاهرة ضخمة وقصد الى الجامعة فأخرج شبابها لينضموا اليه وتلقى الانجليز المظاهرة بالمدافع فقتل من قتل • ورأى دماء اخوانه تسيل واصابته ضربة فى صفحة وجهه ما تزال آثارها باقية الى الآن ، وكان هو الخيط الثانى من خيوط رسالته •

وفى الجيش التقى بعبد الحكيم عامر زميله فى الكفاح وكمال الدين حسين وباقى زملائه الثوار ، وبدأ يكافح فى صفوف الجيش كفاحا جديدا فقد كان الضباط القدامى لا يحبون للشباب من الضباط أن يرفعوا رؤوسهم • وأبى جمال ان يكون ذليلا • ورفع رأسه ومضى يحطم الاحزاب التى كانت قائمة لهذا الضابط الكبير او ذاك واعاد صفوف الشباب فى الجيش وحده مؤمنة خالصة بحق مصر ، وكان هذا هوالخيط الثالث من خيوط رسالته •

وقد آمن جمال عبد الناصر بأن الفساد السياسى وتجار السياسة من رجال الأحزاب يظاهرهم القصر ومن فيه من الملك الفاسد وحاشيته الخائنة ، انما يؤيدون الاستعمار ويخدمونه مضحين بأبناء وطنهم وكرامة بلادهم • وفى محيط الجيش رأى كبار الضباط يحطمون الروح المعنوية للشباب ويخدمون القصر •

وهناتبلورت فكرته ووضحت معالم رسالته : لابد من سحق هذه الملكية الطاغية • والقضاء على هذا الطاقم من السياسيين الحزبيين • وتحرير البلاد من سيطرة الاحزاب ورأس المال • ولابد من اعادة تنظيم الجيش وتطهير صفوفه والقضاء على الاستعمار وأذنابه ، وقد تحقق له ذلك علىصورة قوية رائعة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢

ثم مضى ركب الثورة ، جمال واخوانه الأبرار يعملون ويكافحون فى سبيل تحرير مصر وفى سبيل رفع مستوى أهلها • يعملون ليل نهار لتستعيد مصر مكانها المرموق •

ولهذا فقد اتفقت مع أخى الصاغ أبو الفضل الجيزاوى أن نقدم الى أبناء الشعب فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٥ هذا الكتاب الذى كتبه الأستاذ أنور الجندى ورسم فيه صورة من حياة محرر مصر جمال عبد الناصر مهما تكن موجزة فهى تسجل الخطوط الرئيسية لكفاح دام أكثر من عشرين عاما ، بدأه جمال عبد الناصر فى سن مبكرة ومضى يضيف اليه خبرة وجهادا امتد على الأيام فى منقباد والصحراء الغربية والسودان وفلسطين والقنال ••• حتى كلل بالظفر والنجاح •

ولاشك أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ هى صفحة جديدة رائعة فى تاريخ مصر وهى من القمم العالية فى تاريخ الحرية والبطولة وبناء الشعوب من جديد ؟

يوزباشى
جمال الليثى

ناقصة من اصل المصدر

ناقصة من اصل المصدر

السد العالى ومديرية التحرير ومصانع الاسلحة الا أهرامات جديدة فى تاريخ مصر •

لقد آمن جمال عبد الناصر بمصر ايمانا قويا ، آمن بعظمتها منذ كانت امبراطورية عظيمة تلمع فى سماء الشرق كدرة ، ان فى دمه ذلك المصرى القديم الذى وقف موقف الحزم والثبات أمام الجموع الاجنبية التى تدفقت على بلاده ، ثم عزم على مطاردتها ، حتى استطاع أن يفعل ذلك •

وفيه روح مصر العربية الاسلامية التى تكاملت شخصيتها بعد الاسلام ، وأصبحت قلب الشرق •

لقد جاء الاسلام لمصر فبعث فيها روحا من الاخوة التى لاتعرف التفرقة بين أبناء هذه المنطقة جميعها ، والذى دعا الى الترابط والتعاطف والوقوف صفا واحدا أمام العدو المشترك الذى كان لايلبث أن يغير على البلاد مرة بعد أخرى •

لقد عاشت فى أعماق جمال وفى دمائه قصة مصر كلها ، وفيه كل البطولات التى عاشت فى وادى النيل ، عمرو بن العاص ، وأحمد بن طولون ، وصلاح الدين الايوبى ، وعمر مكرم ، وأحمد عرابى ، ومصطفى كامل ، ومحمد فريد •

وعاشت فى أعماق جمال صورة البطولة المصرية ، التى طاردت الهكسوس ، وهزمت الصليبيين ، ونازلت المغول ، وحمت الكنانة •

وعاشت فى أعماقه صورة الجيش المصرى فى بطولاته المتعددة حتى فى أحلك العهود ، فقد ظل هذا الجيش قويا يكافح ويناضل ، كان الجنود المصريون يبنون القلاع والحصون ويجاهدون فى رد عدوان الغزاة ويقتحمون المواقع الفاصلة ، ويضمون الى مصر أجزاءا من الوطن الاسلامى الاكبر ، وكانوا فى كل مكان قوة لاتنسى ، وبطولة هى موضع الاعجاب •

ففى موقعة عين جالوت حمى جيش مصر الحضارة الاسلامية من أن تتحطم على صخرةالتتار الجبارة ، ووقفت مصر برجالها فىوجه الجيش الضخم الذى ساقه هولاكو وتيمور لنك من قلب آسيا ودك به مدائن الاسلام ومعاقله فى بغداد ودمشق ••• فردته مصر •

وفى نصيبين حيث هزم الجيش المصرى الجيش التركى ، وفى نفارين حيث حارب جيش مصر جيوش أوربا مجتمعة ، وفى كل مكان ذهب فيه كانت له البطولة والنصر •

عاشت هذه الرؤى والقصص والوقائع والانتصارات كلها فى ضمير جمال عبد الناصر ابن مصر •••

كما عاشت فى أعماقه صورا أخرى ••• كان يكرهها ويتمنى أن يحرر بلده منها هى صور الطغيان الذى عاناه هذا الوطن •• صور الطغاة والظلمة من الحكام المستبدين والملوك والخديويين والولاة •

ولد جمـــال عبد الناصر فى بنى مر من أعمال أسيوط فى ١٥ يناير سنة ١٩١٨

ولد فى تلك اللحظات الحاسمة من تاريخ مصر ... بل وتاريخ العالم كله ...

ففى هذا العام انتهت الحرب العالمية الاولى ، وأعلن « ولسون » أمام قبر واشنطون مبادئه التى خدع بها المصريون ، قال ولسون : « ان عهد الفتوحات والتوسعات قد مضى وانقضى ، وأصبح من الممكن لـكل أمة تتفق آمالها مع العدل وسلام العالم أن تصرح الآن ، أو فى أى وقت من الأوقات بالاغراض التى تصبو اليها ... وان دعائم العدل الدولى يجب أن تركز على مبدأ تقرير العدل بالنسبة للشعوب قاطبة ولـكل الجنسيات لافرق بين قويها وضعيفها » .

وفى هذا العام عقدت الهدنة « ١١ نوفمبر ١٩١٨ » .

وكان فؤاد قد ولى سلطانا على مصر بتبليغ بريطانى ...

وكان أبطال الوطنية المصرية فى منفاهم خارج مصر ، وفى مقدمتهم الزعيم قديس الوطنية محمد فريد ، وكان لـكفاحه مع زميله مصطفى كامل الاثر القومى فى روح الثورة المصرية التى اندلعت .

وفى هذا العام وقعت مقابلة ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ بين سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى لممثل دار الحماية فى مصر السير رجلند ونجت المندوب السامى البريطانى ، وهى المقـــابلة المخزية التى ظلت الاحزاب تحتفل بها مدى ثلاثين عاما كيوم من الايام الخالدة المشرقة فى تاريخ « الوطنية » المصرية حتى جاء جمال عبد الناصر فألغى هـذا « العيد » المؤسف .

وتألف فى هذا العام الوفد المصرى ، وبدأ يجمع توكيلات من الأمة لها صيغة هزيلة هذا نصها : « نحن الموقعين على هذا ، قد أنبنا عنـــا .... فى أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجد للسعى سبيلا فى استقلال مصر تطبيقا لمبادىء الحرية والعدل التى تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى وحلفاؤها » .

ابن الصعيد



وهكذا يمكن القول بان جمال عبد الناصر ولد فى أتون الحوادث ، وفى اللحظات الحاسمة فى تاريخ مصر ، وفى فجر ثورة ١٩١٩ التى وضع الزعماء المتكالبون على الحكم الماء على نارها ، وقتلوا روحها التى كانت خليقة بأن تدفع مصر الى الامام بقوة .. لو قام على حراستها رجال فى مثل أمانة رجال ثورة ٢٣ يوليو .

ولد جمال عبد الناصر فى بلدة بنى مر ..

وهى قرية مصرية صميمة كانت قريبة من معمعان ثورة سنة ١٩١٩ ، وقد ادى أهلها دورهم كغيرهم من ابناء هذه المنطقة فى هذه الثورة التى اشتركت فيها جميع طبقات الشعب ، وأندلعت فى وقت واحد فى جميع أنحاء البلاد وفق أسلوب منظم مرتب ، تجلت فيه معنوية الشعب ، واعتمدت على روحه وقوة ايمانه .

وشب جمال عبد الناصر فى هذه القرية ، وسمع من أهله أنباء هذه الثورة ، فقد ظلت حديث الشيوخ مدة طويلة ، و لابد أنه سمع من شيوخ بنى مر كثيرا عن الدور الذى قامت به أسيوط والبلاد المجاورة لها .

ولقد هزت أحداث أسيوط الانجليز ، ففى هذه المنطقة روح من

الايمان والاستماتة فى سبيل مصر وحريتها ، هذه الروح التى تبلورت فى جمال عبد الناصر ٠

قامت أسيوط بدور ضخم استمر طويلا ، بدأ بحريق الكميات الهائلة من التبن المكدسة لحساب السلطات العسكرية ، فالتهمتها النار وتصاعدت ، وكان لها منظرا مفزعا استمر عـــدة أيام ، وهجم الثوار على مركز البوليس فى المدينة وأخذوا منـــه السلاح ، وهاجموا القوات البريطانية به ، وتفاقمت الحال فى أسيوط ، وهوجم المكان الذى أعدته السلطة البريطانية لتتحصن فيه ، فقد اخترق المهاجمون النطاق وأخذوا يطلقون النار على الجنود البريطانيين ٠

وظل هذا الموقف الخطير بين اصرار اهل أسيوط وبين دفاع القوات البريطانية من ١٠ مارس سنة ١٩١٩ الى ٢٤ مارس حيث وصـــلت طائرتان حربيتان مائيتان الى أسيوط فاشتركتا فى أعمال الدفاع ، وألقتا بعض القنابل ، فأصابت بعض الأهلين وقتلت بعضهم ٠

وسارت النجدات الحربية مسرعة من القاهرة الى أسيوط ، ولـــكنها لم تسر فى أمان ، بل لقيت مقاومة عنيفة بين ديروط وأسيوط من جماعات الثوار على ضفة النيل ٠

وبلغ عدد فصائل الجنود التى أرسلت الى الوجه القبلى ست عشرة فصيلة ٠

* * *

ولابد أن جمال عبد الناصر سمع قصص هذه الثورة بعد أن شب ، وكان فى سن الصبا يتفتح للحياة ، وكان لهذه القصص أثرها فى تكوين شخصيته المكافحة المجاهدة ٠٠٠ وسمع الى ذلك قصص تروى عن « واقعة » عرابى ، وعن هزيمته ٠

وتفتحت روح الشاب اليافع على شيئين خطيرين :

هذه القرية التى عاش فيها الى سن الثامنة ، وهذه الحيـــاة التى يحياها أهلها ، لم يكن جمال من عائلة غنية ، ولا اقطاعية ، وانما كان من أسرة فقيرة شعبية متواضعة ، كل رجالها يكافحون ويعملون فى الأرض وفى التجارة ٠

ورأى جمال هؤلاء الذين يشقون الأرض ، ورأى مدى الظلم الذى يعانونه من السادة والاقطـــاعيين ، وسمع قصص القسوة والفقر والحاجة ٠

وفى هذه البيئة ترعرع جمال على مبادىء الرجولة : مبادىء الصعيد فى الايمان ورعاية التقاليد ، وحماية الزمار ٠

وتحوط بنى مر الحدائق ، وجوها جميل ، وقد عرف أهلها بالـــكرم والوفاء والذكاء ، وهى متصلة بالنيل وخزان أسيوط من الجهة الغربية ٠

وفى هذه البيئة ، وبين هؤلاء الرجال المؤمنين بوطنهم ورجولتهم ، تكون الطابع الأول لشخصية جمال عبد الناصر الصعيدى ، هذا الطابع

الذى ظل محتفظا به طوال حياته ، والذى أكده فى خطاب له حيث قال :
« ... أؤكد لكم محافظتي الدائمة على تقاليد الصعيد ، وعلى شرف أهل الصعيد ، وأعدكم بأن أكون فى كل ما أعمل مثـلا للرجولة التى اشتهر بها رجل الصعيد ، فلا يخدعنى مال ، ولا يغرينى مظهر أو سلطان ، بل سأبقى ما حييت جمال عبد الناصر ، ابن بنى مر ، ابن الصعيد ... »

والحق ان الصعيد هو طابع جمال عبد الناصر فى شخصيته وتصرفاته فى حميته ورجولته ، وغيرته على وطنه ... لقد اتسعت هـذه المعانى الاقليمية القبلية فى شخصيته فشملت مصر كلها ، فاصبح يفتدى مصر كما يفتدى ابن الريف قريته وعزوته .

وهو يبدو فى كل تصرفاته ابن الريف ، الصعيدى الخالص ، الذى تحرر من عيوب الريفية والقبلية واستبقى منها الحرص على الكرامة ، والرجولة ، والشهامة .

فالصعيدى الأصيل لايغدر بخصمه ، ولا يترك من يستنجد به ، ولا يكون البادىء بالعدوان ، ولا يدع حقـه ، ولا يعرف الممالأة أو المحاباة أو النفاق ، أو « مسح الجوخ » كما يقولون ... وتلك كلهـا صفات تبدو جلية فى تصرفات جمال عبد الناصر ...

والصعيدى الأصيل لايحب اللف ولا الدوران ، مما يسمونه المرونة ما دام مؤمنا بأنه على الحـق ، بل يقول كلمته مواجهة وصراحة ، ويستمسك بها ، ويصر عليها ، ولا يبالى أى النتائج تحدث فى سبيل استمساكه بحقه .

وهذه المعانى تبدو واضحة فى مواقف جمال عبد الناصر المتعددة مع الانجليز ، ومع الاقطاعيين ، ومع خصومه وأنصـاره على السواء ...

ففى معمعان الأحداث فى مارس سنة ١٩٥٤ قال كلمته الخالدة :

« لن أخادع ، لن أضلل ، لن أستجدى » .

هذه هى طبيعة الصعيدى المصرى الأصيل ، وهى صفة كنا فى أشد الحاجة اليها بعد أن مضى عهد طويل عشنا فيه مع ميوعة اللباقة ورقاعة المرونة ، هذا الأسلوب الذى كان يعرفه رجال الغرف الدافئة ، أولئك الساسة القدامى الفاشلين الذى لم يؤمنوا بهذا الشعب ، ولم ينشئوا فى محيطه ، ولم يستمعوا اليـه ... ولم يعرفوا آلامه ، ولم يحسوا بعاطفته ومشاعره ...

أما جمال فقد استمع الى أنات الشعب منذ شبابه الباكر ، اذ ولد فى محيط شعبى خالص ، وفى بيئة القرية .

ولكن جمال عبد الناصر لم يكن ريفيا « قحـا » فقد استطاع أن يكسب من المدنية والحضارة كل ما فيها من خـير ، ثقافتها وعلمها ، ومظـاهرها الجديدة الخالصة ، وبذلك مزج فى شخصيته بين الريف والمدنية ، وبين ضمير الصعيد وروح الحضارة فى تناسق جميل .

* * *

والشيء الثاني الذي تفتحت عليه نفس جمـــال عبد الناصر في هذه الفترة من عمره ، هو ما بعد ثورة ١٩١٩ ، لقد شاهد ولمس في هـذا السن كيف تحولت الثورة الى مطامع وصراع .

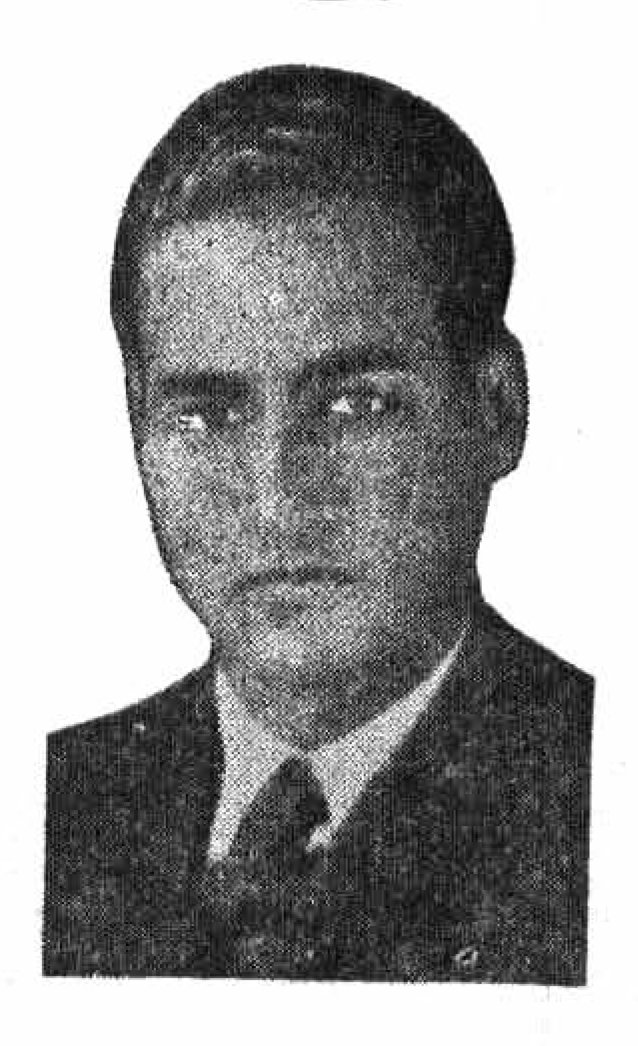
ففي سن الثامنة ـ الذي يوافق عام ١٩٢٦ ، وهو العام الذي غادر فيه جمال عبد الناصر الريف الى القاهرة ، كانت السياسة قد قضت على الوطنية ، ونقلتها من روح الجهاد ومقاومة المستعمر الى هذا الأسلوب من المناورات السياسية والصراع الحزبي ، وتحول الكفاح من الخارج الى الداخل ، فبعد أن كانت مصر تتجمع كلهـــا لتحارب المستعمر ، انقسمت الى صراع داخـلي قوامه الشتم والسـباب بين الأحزاب المصرية .

ورأى جمال عبد الناصر كيف ان ثورة ١٩١٩ التي سمع قصتها من شيوخ بني مر ، والتي اشتركت فيها طوائف الشعب في اسيوط وفي كل الأقاليم ... في نفس الوقت الذي اندلعت فيه في القاهرة ... هذه الثورة قد سحق روحها المعنوية زعماء مصر ، من مدرسة السياسة الحزبيـة التي ظلت تسيطر على مقـاليد الحكم حتى ازاحهـا جمـال عبد الناصر في ٢٣ يوليو ١٩٥٢



عاطفـــة الرحمـــة

نضوج مبكر



لما بلغ جمال الثامنة من عمره ، أرسله والده الى القاهرة لتلقى العلم
فأعجب بجمال القاهرة ، وكثيرا ما كان يتبادل الرسائل مع والديه
معبرا عما يخالجه من مختلف المشاعر •

ونضج جمال مبكرا ، أعطاه الريف ضعف عمره خبرة وتجربة ، هذه
اليقظة التى تسمع وتستوعب وتختزن فى أعماقها كل تجارب الشيوخ
والأعمام والأجداد ••• فلما وصل الى القاهرة لم يأخذه بهرها ، رغم
انه أعجب بها ، كان فى نفسه ذلك الطابع الذى ظل يعيش فيه حتى
اليوم ، طابع الخلوة والتفكير العميق ، واعتزال المجتمع الصاخب ،
والعكوف على آمال لما تكن بعد قد وضحت فى صورتها النهائية •

كانت رؤى تتمايل فى أعماق النفس ، كان وراء هذه الرغبة فى الخلوة
وفى العكوف على النفس رسالة ومهمة وهدف ••• مظهرها ماعرف
عن جمال حيث كان فى المدرسة الثانوية يهيمن على الطلبة ويفكر فى
مستقبل مصر ، ويبدى كراهيته العميقة للاستعمار •

وكان الى ذلك يحب أن يستمع الى رأى النـــاس ، كانت فى دمه القيادة ، وفى طبيعته الزعامة ، وان القدر يهيئه لدور ، كان يؤمن بأنه يستطيع أن يعمل شيئا ... ولعل هذا المعنى قـد دفعـه الى آفاق الأحزاب والهيئات يريد أن يصل فيها الى توجيه النصح للزعماء ، ليدرس الى أى حد تستطيع هذه الأحزاب أداء واجب الوطن المقدس كان جمال يؤمن بنفسه ، ويؤمن بمصر ، ويؤمن بأنه لمصر ، ومن ذلك اليوم الذى وصل فيه الى القاهرة ، كان قاسما مشتركا على جميـع حركات التحرير والمقاومة .

وفى خلال هذا الاتجاه الذى كان يكشف شخصية جمال ، وقع حادث هام ... له أثره فى تكوينه واتجاهه .

ذلك أن والدته توفيت فى أواخر سنة ١٩٢٦ .

وكان جمال يحبها حبا خالصا عميقا ، فأثر ذلك فى نفسه أى تأثير ، وساعده على الخلوة والتفكير .

وبدأت الحياة تأخذ فى نظره مظهرا جديدا .

وأمضى جمال عشرسنوات ، حتى كانعام ١٩٣٧ ، كان قدنالشهادة « البكالوريا » من مدرسة النهضة المصرية بالقاهرة ، وكانت درجاته ممتازة ، وكانقد أشترك فىثورة ١٩٣٦ بعد تصريحهور ، هذهالثورة التى فقد فيها صديقه وزميله فى الـكفاح الأول عبد الحميد مرسى الذى خر صريع الظلم والاحتلال ، فأنساه ما أصيب به فى نفس اليوم ، ورسم فى نفسه يومئذ أن عليه واجبا عليه أن يفنى فى سبيله .

فقد حدث فى هذا اليوم أن صحا جمال مبكرا ، وذهب الى المدرسة وقال للطلبة زملائه : « ان الانجليز يفعلون كل يوم عملا منكرا ، فيجب أن نظهر شعورنا باحتقارهم » ثم وقف فى حوش المدرسـة ـ بقوامه الطوال ، وعيناه اللامعتان ، وصوته الجهورى ، ولهجته الآمرة التى تحس فيها روح السيطرة والزعامة دون استعلاء ولا كبرياء ـ وقال بأعلى صوت : « يسقط الانجليز » .

وفى نفس هذه اللحظات اجتمع حوله الطلبة وساروا فى مظاهرة حتى وصلوا الى الجامعة ، وهناك قامت الجامعة بأخطر مظاهرة حدثت فى ذلك الوقت .

وقاد جمـــال هذه المظاهرة ، ثم فجأة وبلا مقدمات أطلق البوليس الرصاص على الطلبة ، ورأى أحد الجنود جمال فجرى وراءه حتى لحق به وأصابه فى وجهه اصابة ما يزال أثرها باقيا حتى الآن ، وما كاد يدخل المدرسة فى اليوم التالى حتى قابله الناظر وقال له : انت مفصول .

هل كان هذا الحادث بداية القصة ومقدمة الـكفاح ؟..

ان جمال عبد الناصر نفسه لايوافق على هذا ويقول : ان بذور الثورة فى نفسى كانت أبعد من الغور الذى عشت فيه طالبا أمشى مع المظاهرات الهاتفة بعودة دستور ١٩٢٣ ، وقد عاد الدستور سنة ١٩٣٥ ، وأيام

الى كنت أسعى مع وفود الطلبـــة الى بيوت الزعماء نطلب منهم ان يتحدوا من أجل مصر ، وتألفت الجبهة الوطنية سنة ١٩٣٦ بالفعل على أثر هذه الجهود •

فى خلال هذه الفترة كان جمال يقرأ بنهم عجيب ، كان يتطلع الى تثقيف نفسه بكل ما تصل اليـــه يده ، وكان محبا لتاريخ الأبطال والزعماء من محررى البلاد ، وكان كلفا بأبطال الاســلام وشخصيات التاريخ ، وقد قرأ فى هذه الفترة كتب « الحركة القومية » للرافعى ، وقرأ « عودة الروح » لتوفيق الحـكيم •

وكان يتوق الى دراسة الحقوق بعد الانتهاء من البكالوريا •

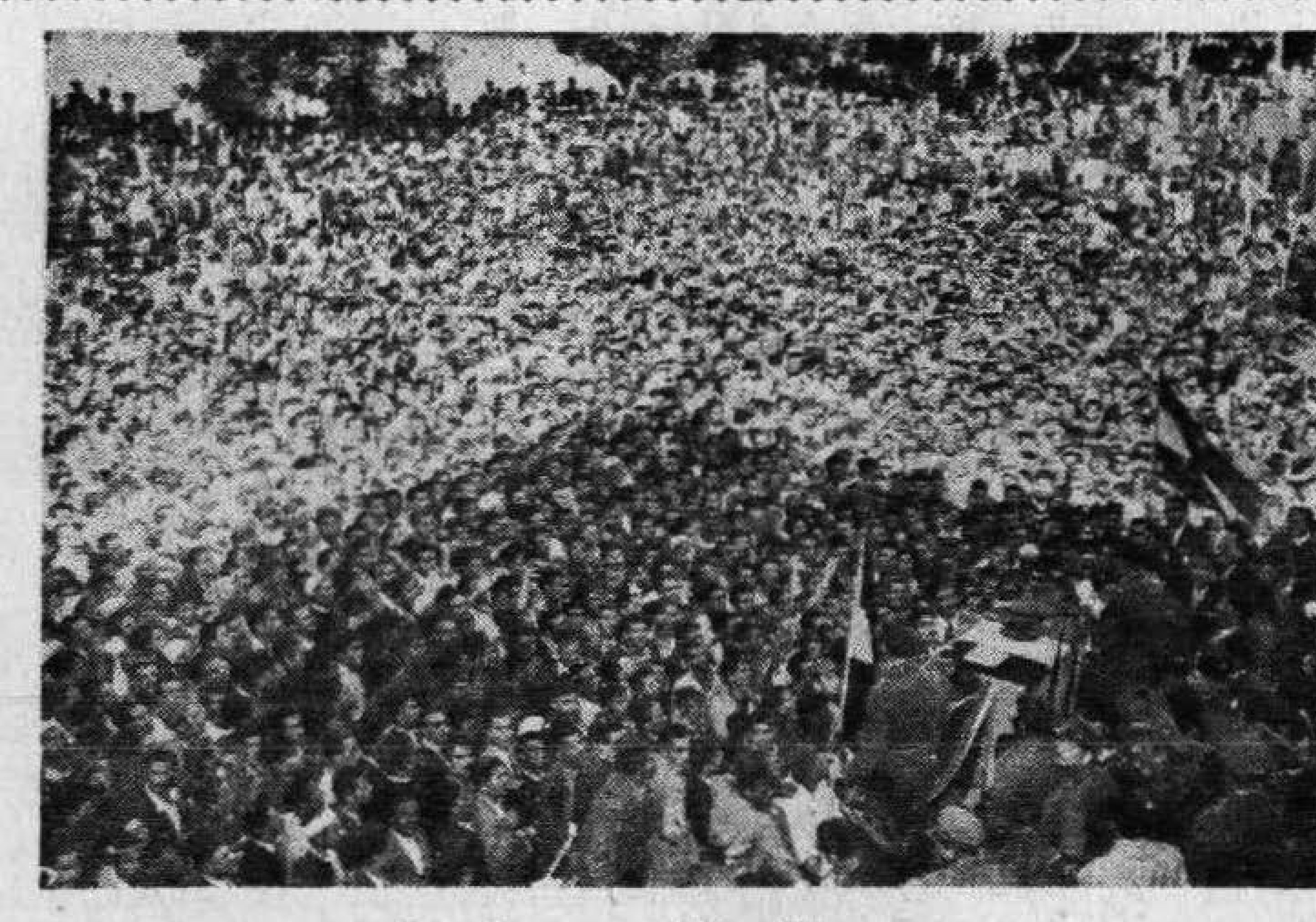
ولكنه عاد فى اللحظة الأخيرة فقرر دخول الكلية الحربية ••

وفى التفرقة بين كلية الحقوق والـكلية الحربية ••• كل الفارق بين شخصية الشاب الذى كان قد فهم أن تحرير مصر ليس عن طريق القضية المصرية كما كان يطلق عليهـــا المحامون الذين أتيح لهم أن يصبحوا زعماء مصر من تلاميذ المدارس الحزبية •

وكأنما كان القدر يرسم الخط العميق فى ثورة مصر ، وفى تحول التيار الوطنى من أسلوب المغالطة وقلب الحق باطلا والباطل حقـــا ••• وهو ما أخذت به الزعامة السياسية المصرية من ١٩٢٣ الى ١٩٥٢ ، وهو نفس الأسلوب الذى كانت تعرفه بعض الصحف المصرية خلال هذه الفترة فى الصراع بين الأحزا بـعلى الأشلاء ، على المطامع الخاصة ، على كرسى الحـكم ، على الفتات الذى ألقاه الانجليز تحت أقدام المصريين ليتلهى به عن الهدف الأول الذى هو تحرير البلاد من الاستعمار •

فى هذه الأعوام ، كان جمال يتقدم من سن الثامنة عشرة ، وقد تكون طابعه النفسى على تلك الصورة ، الاعتكاف والازدراء للمتع الزائفة التى كانت تملأ نفوس الشباب فى هذا السن ، وتلك الملامح البراقة التى يعيشها الطلاب فى هذا العمر •

كان يحمل فوق أكتافه هذا الحزن العميق الذى صبغه موت والدته بطابع من الألم الدائم ، وامتلأت روحه بآمال مصر ، ومضى يقرأ ويقرأ ويختزن فى أعماقه سير الأعلام والشخصيات •



قلوب الشعب حـــول جمال

محمد .. مثله الأعلى



وكان مثله الأعلى دائما « الرسول » محمد صلى الله عليه وسلم ، لقد ظل دائما يتبع هديه ، ويقتفي خطاه ، ويستهدي صورة نفسه وملامح شخصيته ، مستوعبا شمائل النبي ، وهو يصفه بهذه العبارات التي تنبعث من أعماق نفسه :

« كان محمد عليه السلام نقي السر والعلن ، طهور الظاهر والباطن ، لايوجد بين حياته الخاصة وحياته العامة حجاب ، فسيرته في نفسه وفي بيته كسيرته بين الناس ، ودعوته التي يعرض على الناس أصولها ، كان أول الناس احتكاما اليها وأخذا بها ، وقد ظل بارزا للأصدقاء والخصوم سنين طويلة ، فما عرفت عنه ريبة ، ولا وقع تناقض بين سلوكه الخاص وسلوكه العام .

ان الرسالة التي نادى بها هي الرسالة التي عاش فيها ، وهي التي ضبطت أحواله كلها سواء الذي اطلع عليه الناس ، والذي خفي عن أعين الناس .

ومثل ذلك لايطيقه الأدعياء من أصحاب الشهوات ، ومن ذوي الرجولة المريضة ، والأخلاق الملتوية ، ولقد حاول خصوم رسالته

أن يستدرجوه الى المداهنة والمسلك المزدوج فأبى ، وهو القائل : ذو الوجهين لايكون عند الله وجيها .

ومن ذلك يقول القرآن : « فلا تطع المكذبين ، ودوا لو تدهن فيدهنون » .

والحق أن صاحب الرسالة العظمى قد زوده الله بزاد من الشرف والصراحة والثبات ، وهي كفاء ما حمل من أمانة ، وبلغ من رسالة » .

ثم يختم جمال عبد الناصر تصويره العميق القوى لشخصية الرسول بهذه العبارة : « ولن يصل صاحب رسالة نبيلة الى غايته الا اذا مشى في هذا السبيل » .

حقا ان جمال صاحب رسالة نبيلة ، وانه يهتدى بمثله الأعلى ، ألم يواجه مجتمعا أقرب الى ذلك المجتمع الذى واجهه النبى العظيم ؟ . . اذن فهو في حاجة الى أخلاقه وهداه ليستطيع أن يحطم الاصنام ويهدم صروح الطغيان ، ويقذف بالظالمين والاقطاعيين والمتسلطين خارج الموكب الذى يريد أن يندفع في قوة الى المجد .

حقا . . . لقد جد جمال عبد الناصر ليطهر طريق مصر من الصخور والجنادل ، فهو في حاجة الى روح هذا النبى القوى ليهتدى به في عمله العسير الشاق .

انه يؤمن بما وصف به الرسول : ان طبيعة الرجل العظيم أن يعتمد دائما على الصراحة والصدق ، ولا ينتهز الفرص لبناء مجد كاذب ، أو اكتساب عظمة زائفة ، ان محمدا يحب أن يدرس ويعرف ليدرك الناس من خلاله الذكية ونفسه النقية ، ما يعمر النفوس بالاخلاص والبر » .

لقد عاش جمال عبد الناصر شبابه يقرأ بشغف ، ويدرس حياة الأعلام والعظماء والفاتحين والحاكمين ، شأنه في ذلك شأن كل من هيأ نفسه لعمل عظيم .

ولاشك أن النبى محمد قد كان في مقدمة هذه الشخصيات الضخمة التى قرأ عنها بامعان ، واستقى منهـا خبرتها وتجاربها ، وحاول أن يقتدى بها حين أسلمت اليه الأمور مقاليدها .

ولعل أبلغ ما استرعى نظره في شخصية النبى ، فأخذ نفسه به ، وكان علما على شخصيته ، يعرفه كل من يعرفه ، أنه يكره المداهنة والمسلك المزدوج ، وقد آمن بقول الرسول في هذا : « ذو الوجهين لايكون عند الله وجيها » .

وفي كل مواقفه مع خصومه وأنصاره على السواء ، كان هذا الرجل الصريح .

وعندما تعقدت الأحداث في مارس سنة ١٩٥٤ قال كلمته الخالدة :

« لن أخادع ولن أضلل ولن أستجدى أبدا مهما قالوا ومهما حاولوا » .

وعندما واجه الانجليز كان معهم صريحا هذه الصراحة الواضحة ، فقال كلمته وصمم عليها ، واضطر الانجليز الى أن ينزلوا عندها .

وكان هذا شأنه مع كل من اتصل به .

فى الكلية الحربية



كان جمال عبد الناصر راغبا الى التخرج من كلية الحقوق • ولكنه غير رأيه فى آخر لحظة واختار الكلية الحربية •• كان ذلك فى أوائل سنة ١٩٣٧ ، فما هو السر الذى دفعه الى هذا الاتجاه ؟ ••

كانت مصر قد عقدت معاهدة « الشرف والاستقلال » فى صيف سنة ١٩٣٦ ، واستقبلتها الصحافة والبلاد ، واستقبلت أبطالها الذين وقعوا عليها استقبال الفاتحين •

كان جمال قد اشترك فى دعوة الزعماء الى الوحدة ، فلما رأى أن هذه الدعوة خلفت من ورائها غلا جديد وقيدا حديديا •• هو تحويل الاحتلال الذى كانت بريطانيا فيه غاصبة الى احتلال شرعى بمقتضى وثيقة •• أذهل هذا جمال ، بعد أن رأى جميع زعماء مصر فى ذلك الحين يوقعون معاهدة الشرف والاستقلال ، وقد حشدهم الاستعمار فيها حشدا : مصطفى النحاس • محمد محمود • اسماعيل صدقى • أحمد ماهر • على الشمسى • عبد الفتاح يحيى • واصف بطرس غالى •

عثمان محرم • محمد حلمى عيسى • مكرم عبيد • حافظ عفيفى • محمود فهمى النقراشى • أحمد حمدى سيف النصر •

اذن لم يعد هناك أمل فى هذا الطاقم السياسى الذى خرجته كلية الحقوق ، وليس هذا هو الطريق الذى يؤدى الى تحقيق آمال البلاد ، ورد حريتها وكرامتها . ولابد من سلوك طريق آخر :

•• هو طريق القوة ••

ولن يتحقق هذا الا بالتحول الى الكلية الحربية ••

لقد اقتنع جمال بأن التفوق فى العلم هو أهم أسلحتنا ضد الأجنبى وأن مقابلة الرصاص الانجليزى لا يكون بالمظاهرات ، ولكن بالحرب والتدرب على فنونها •

وكانت الصور التى قرأها للأبطال والأعلام والزعماء قد رسمت له صورة « البطل » فى صورة المحارب الفاتح الذى يحرر وطنه ويسوق المحتلين مورد الهلاك ، وزاده يقينا بهذا الاتجاه وتأكيدا له ، قراءته لتاريخ عرابى •• فان لعرابى عند مصر ثأرا ، وله فى عنق الجيش المصرى وديعة •

لقد فتح الطريق أمام الطامحين لمثل هذا المجد ، مجد تحرير البلاد من ظلم هذه الأسرة الطاغية الأجنبية التى لا يجرى فيها الدم المصرى والتى تحتقر المصريين ••

ولا أستطيع ان أقول أن هذه المعانى كانت واضحة فى ذهن جمال عبد الناصر على هذه الصورة • ولكنها كانت متجمعة كبؤرة من الضوء تدفع فى قوة الى اتجاه معين ، وتدع الرؤيا تنبعث منها مع تطور الزمن ومرور الوقت •

وكل ما يمكن ان يقال أن جمال الشاب فى سن الثامنة عشرة كان قد اقتنع بأن البلاد تمر بمرحلة مريرة ذليلة من تاريخها ، وأن بريطانيا تدوس بقدمها على عنق هذا الوطن فترغمه على أن يمرغ رأسه فى الوحل ••

***

ويبدو هذا فى وضوح فى رسالة جمال الى أحد أصدقائه ، وتاريخ هذه الرسالة ٢ ديسمبر سنة ١٩٣٥ ، وهو فى ابان الثورة النفسية التى دفعته فيما بعد الى الايمان بأنه لا سبيل الى تحقيق هدفه الا بالقوة والاتجاه الى الكلية الحربية كجزء من اعداد هذه القوة التى يمكن بها مقاومة الاستعمار وتحرير مصر • ويحمل هذا الاتجاه معنى الوضوح والواقعية والاتجاه الى الناحية العملية الصرفة دون الاعتماد على الخيالات والأحلام ••

« اخى •••

قال الله تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » •• فأين تلك القوة التى نستعد بها لهم • ان الموقف اليوم دقيق ، وموقف مصر

ادق • ونحن نكاد نودع الحياة ونصافح الموت • فان بناء اليأس عظيم الأركان •• فاين من يهدم هذا البناء ؟ ••

ان فى الحكم حكومة قائمة على الفساد والرشوة (وزارة توفيق نسيم) فاين من يغير هذا الحال • ان الدستور معطل ، والحماية على وشك الاعلان • فاين من يقول للاستعمار قف عند حدك • فان فى مصر رجالا ذوى كرامة ، لا يريدون أن يموتوا كالأنعام • أين الكرامة • أين الوطنية • اين الذى يسمونه رعونة الشباب • كل ذلك قد غاب فى الآفاق ، وظهرت الأمة نائمة كاهل الكهف والرقيم • فاين من يوقظ هؤلاء التعساء الذين هم عن حالتهم لا يعلمون ؟

قال مصطفى كامل : « لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة » •• ولكنا نجد الآن حياة مع يأس ويأسا مع حياة • لقد انقلبت الآية يا اخى فرجعنا الى الوراء • رجعنا خمسين سنة الى الوراء • رجعنا الى حكم كرومر ، ولكن كرومر وجد من اذله وشنع به فى عرض المعمورة ، فكانت النتيجة أن استقال • ولكن اين من يشنع الآن •

ان الجميع يتمسحون بأذيال الاستعمار ولا يعرفون الا الملق والتزلف • أين ذلك البلسم الذى تستظل بظله الوطنية ، ويحتمى به الوطنيون ساعة الخطب المروع ، وهو أثبت من الأطواد رأيا وقلبا ، اذا عز النصير وخيف الزيغ ، وأرهبته القوة الغشوم •• بل اين الوطنية التى كانت سنة ١٩١٩ تشتعل نارا فى الصدور • بل اين ذلك الذى يذود بلسانه وخطرات قلبه عن حياض هذا الوطن العزيز المقدس ، مضحيا الحياة والعمر فى سبيل الاستقلال ؟ ••

***

وفى رسالة أخرى مضى جمال فى تصوير شعوره : شعور الوطنى الصادق الذى تثور فى أعماقه معركة توشك أن تحدد موقفه من الاستعمار ومن الاستبداد ومن الدجل السياسى جميعا ••

« •• لقد انتقلنا من نور الأمل الى ظلمة اليأس ، ونفضنا بشائر الحياة » واستقبلنا غبار الموت ، فأين من يقلب كل ذلك رأسا على عقب ويعيد مصر سيرتها الأولى • يوم أن كانت مالكة العالم • أين من يخلق مصر خلقا جديدا ، حتى يصبح المصرى الخافض الصوت ، الضعيف الأمل ، الذى يطرق برأسه ساكنا صابرا على حقه المهضوم ••• يقظا عالى الصوت ، عظيم الرجاء ، مرفوع الرأس ، يجاهد بشجاعة وجرأة فى طلب الحرية والاستقلال ؟••

يقولون : ان المصرى يجزع من حفيف ثيابه فى وضح النهار • ولكن يجب أن يتقدم من يقودونه الى مواقف الدفاع ومواطن الكفاح ، فيكون لهم صوت أعلى من صوت الرعد ، تتداعى لقوته أبنية الظلم والاستبداد •• فكل روح سكنت جسما جاء من ابوين مصريين لا ترضى بحالتنا

الراهنــة ، وتبذل نفسها قربانا للوطن العزيز والجامعة الوطنيــة المقدسة .

قال مصطفى كامل : لو نقل قلبى من اليسار الى اليمين أو تحرك الأهرام من مكانه المكين أو تغير مجرى النيل ، فلن أتغير عن المبدأ .

.. كل ذلك مقدمة طويلة لعمل اطول وأعظم . فقد تكلمنا مرات عديدة فى عمل يوقظ الأمة من غفوتها ويضرب على الأوتار الحساسة من القلوب ، ويستثير ما كمن من القوى فى الصدور . ولـكن كل ذلك لم يدخل فى حيز العمل الى الآن .. »

***

وبعد .. فماذا يمكن أن تعطينا هذه الرسالة عن جمال عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٣٥ حين كان يســكن بالخرنفش حارة خميس العـدس رقم ٣ ؟ ..

انها تعطينا صورة واضحة لعملية اختمار واعداد للعمـــل الذى قام به صاحبه بعد ذلك . تعطينا صورة نفس نفضت يدها من كل المظاهر البراقة التى حولها ، وأنكرت ما عليه الزعماء من دجل وبلادة ، وبدأت تفكر فى الطريق الذى يجب أن يسلكه الرجل الحر فى سبيل وطنه وبلده .. انه عمل طويل ، ذلك الذى يتطلبــه الوطن ليوقظ الأمة من غفوتها ، ويعيد مصر سيرتها الأولى يوم كانت مالـكة العالم ، يدافع عن روح « المصرى » الذى أصبح خافت الصوت ، ضــعيف الأمل ، المطرق برأسه ، الساكت عن حقه المهضوم ..

انه يريد أن يصنع ذلك « المصرى » العالى الصـــوت ، المرفوع الرأس ، المجاهد فى شجاعة وجرأة .

انه ينكر على « المصرى » أنه يجزع من حفيف ثيابه فى وضح النهار ، ويريد أن يصرخ صرخة تتداعى لها أبنية الظلم والاستبداد .

انه يستشهد كثيرا بمصطفى كامل ، فقـد كان هو المفتـاح الذى يبدأ منه المجاهد الصادق فى هذه المرحلة ، بعد أن حطمت السياسة تلك الخطوط التى رسمها هذا الزعيم المصرى .

ان فى خطاب جمال صورة الاصرار على المبـدأ ، والايمان بالفـكرة ، والرغبة فى الاتجاه نحو العمل .. العمل الطويل العظيم ، العمل الذى يعيد الـكرامة ، مؤمنا بأنه لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة ..

انه ينكر على زعماء مصر استسلامهم للمستعمر . أين موقفهم هذا من موقف مصطفى كامل ازاء كرومر ، عندما « شـــنع به فى أنحـاء المعمورة » وأرغمه على الاستقالة .. أو أرغم بريطانيا على سحبه ؟ ..

« أين من يفود بلسانه وخطرات قلبه عن هذا الوطن العزيز .. مضحيا الحياة والعمر فى سبيل الاستقلال ؟ .. »

هذه صرخة جمال ، وقد كان هو نفسه الجواب عن هذه الصرخة ،

لقد أراد أن يصنع نفســـه ليكون ذلك الرجل الذى افتقده فى مصر والذى يستطع أن يذود بلسانه وسنانه عن مصر ..

***

دخل جمال الكلية الحربية ، ولم يكن طلاب الكلية يتجاوزون من قبل ٩٠ طالبا ، وعرف باستقامته والاعتزاز بنفسه وميله الى الحياة الجدية .. وانى أدع اللواء عبدالواحد عمـار مدير الـكلية الحربية يصفه :

« الطالب جمال عبد الناصر حسين ذى النظرة الجدية للحياة منذ رأيته ومنذ التحق بالـكلية الحربية فى ١٧ مارس سنة ١٩٣٧ ، وأنا أراه لايميل للمزاح . فلا يأتى بحركات تخـرج به عن حدود الرزانة والوقار . عرف جميع زملائه فى الـكلية أنه رجـل ، فلا يوقع بأحد ولا يخون أحدا . ومما عرفته أنه يعمل لـكل شىء حسابا ، ويقـدر العواقب ويعمل وفق ما يرضى ضميره وربه .

حصل على ٧١ فى المـائة فلم ترضى طموحه ، فالتحق بكلية أركان الحرب وسهر الليالى الطويلة مكبا على الدراسة العسكرية حتى هضمها .

كان ثائرا منذ تخرج من الـكلية الحربية ، وكان ينتقد كل ما فى مصر من أخطاء . ولا أزال أذكر مناقشاته لأصحابه وزملائه ، فقد كانت لا تدور الا عن مصر ومستقبلها »



عاطفة الحب والابوة



ابو الثورة ... مع ابناء الثورة

الضابط جمال

في منقباد • العلمين • السودان
من سنة ١٩٣٨ - ١٩٤٢



تخرج جمال عبد الناصر فى الكلية الحربية سنة ١٩٣٨ والتحق بالكتيبة الثالثة بنادق ، ونقل الى منقباد باسيوط حيث تعرف بأنور السادات وزكريا محيى الدين •

وفى سنة ١٩٣٩ نقل الى الاسكندرية حيث تعرف بعبد الحكيم عامر الذى تخرج فى الدفعة التالية له من الكلية الحربية •

وفى سنة ١٩٤٢ نقل الى معسكر العلمين ، وكانت هذه فرصة

ليرقب حالة التوتر التى كانت تسود مصر .

ثم نقل الى السـودان ، وصحبه عبد الحكيم عامر حيث عملا فى جبل الأولياء .

***

فى هذه السنوات الخمس تنقل جمال بين منقباد والاسكندرية والعلمين والسودان ، فكانت فترة خبرة لا شك فى أثرها البعيد فى تكوينه واعداد الخطوط الرئيسية للخطة العملية التى كان يدرسها فى سبيل تحقيق الرسالة التى ملأت عليه آفاق حياته . وهى بداية صفحة جديدة من تاريخ جمال الضابط داخل الجيش .. « فقد كان الضباط فى ذلك الوقت يكونون شبه أحزاب داخل كل كتيبة . وكان كل حزب يحاول أن يستميل أكبر عدد من الضباط ليتغلب على باقى الأحزاب » .

وقال اللواء عبد الواحد عمار عن جمال وعبد الحكيم ، وكان يعمل معهما فى الكتيبة الثالثة بنادق بمدينة الخرطوم : « كنت لا أرى أحدهما بدون الآخر ، فجمال وعبد الحكيم روح واحدة فى جسدين . وعندما نقل جمال وعبد الحكيم معا مع القوة المسئولة عن حراسة منطقة جبل الأولياء فى السودان ، حمدا الله على أنه لم يفرق بينهما .. »

ومن جبل الأولياء كتب لأحد أصدقائه فى مصر مصورا آماله :

« .. سيكون أمامك المستقبل . ولكنه يحتاج الى جهاد . ولا لذة لمستقبل دون جهاد . فالخيبة الخاوية الخاملة ، أو الطريق المرسومة المعروفة تنعدم فيها اللذة . كل عيبى هنا أننى « دغرى » لا أعرف الملق ولا الكلمات المنمقة ، ولا أتمسح بالأذيال ، اذ أن شخصا هذه صفاته يحترم من الجميع . ولكن الرؤساء يسوءهم ذلك الذى لا يسبح بحمدهم ، ويسوءهم ذلك الذى لا يتملقهم . فهذه كبرياء . وهم الذين اعتادوا الذل فى كنف الاستعمار . يقولون : « كما كنا يجب أن يكونوا ، وكما رأينا يجب ان يرو !.. والويل كل الويل لذلك المتكبر الذى تأبى نفسه السير على منوالهم .

ويحزننى ان أقول : ان هذه السياسة نجحت نجاحا باهرا ، فهم يصهرون نفوس الشبان . وكلهم شباب لم تضلهم الأيام بعد . ويحزننى أن هذا الجيل الجديد قد أفسده الجيل القديم ، فاصبح منافقا متملقا . ويحزننى أن أقول اننا نسير الى الهاوية بالرياء والملق والنفاق ..

أما أنا فقد صمدت . ومازلت . ولذلك تجدنى فى عداء مستمر مع هؤلاء الكبار .. »

ولكن جمال كان يحمل معه فكرته ورسالته ، فبدأ يبشر بمذهب جديد يقوم على المحبة .. يربط بها القلوب ، ويحل الصداقة محل

التطاحن الحزبى ، فحل الأحزاب الموجودة ، ويبدأ يفرض فى النفوس الصفاء والأخوة والسلام •
وبعد وقت قصير وجد أصحاب الأحزاب أنفسهم وقد انفض عنهم الجميع •
ولكن الأمور لم تسر طبيعية بعد ، فقد بدأ كبار ضباط الجيش فى ذلك الحين ينظرون الى جمال كمنافس خطير •• جاء ليحطم الأصنام ، ويبشر بدعوة جديدة •• فشنوا عليه حربا لا هوادة فيها ، وحاكوا له الدسائس ••
ولكنه استمر فى دعوته •• وان كان قد أحس بأن الطريق شاق ، وأن كبار الضباط الذى عاشوا على الدس والوقيعة والحقد لن يتركوه ••• فلما حان وقت الترشيح للنقل الى السودان « الكتيبة الثالثة » وضعوا اسمه بها •
ورحب هو بذلك ••

وفى السودان توطدت صداقة جمال وعبد الحكيم عامر ، وعلى الرغم من عزلتهما فانهما كانا يشعران بسعادة كبيرة ، واتحد تفكيرهما فى كثير مما كان يساورهما من الآراء نحو مصر وأوضاعها ، وتبلورت هذه المعانى فى صورة جدية واضحة •• هى القضاء على الفساد الذى استشرى فيها •
وفى هذه الفترة قرأ جمال كثيرا •• والتهم وزميله عددا من الكتب •
وكانت الكلية الحربية قد فتحت أمامه آفاقا جديدة فى الدراسة ، دراسة الحروب والتكتيك والوقائع والأعمال الضخمة التى قام بها نابليون وخالد والاسكندر •
وكانت فرصة للتحضير لكلية أركان الحرب ••

حقا •• لقد دخل جمال عبد الناصر فى دور صراع جديد ، هو الصراع مع الطبقة القديمة فى الجيش • انه رفض أن يكون ذليلا لهم • ان الذى يزعج جمال هو أن الجيل الجديد قد أفسده الجيل القديم فأصبح منافقا متملقا ، وأن الجيش لذلك يسير نحو الهاوية ••
ويبدو أن فترة التأمل الطويل التى أتاحها له الفراغ فى جبل الأولياء قد أكدت أفكاره وآرائه ، فهو يكتب فى أغسطس سنة ١٩٤١ الى صديقه فى القاهرة خطابا يبين هذا التطور الجديد :

« •• ان الحياة الآن تختلف اختلافا كليا عما كانت عليه فى الماضى ، وطبعا فى هذا الاختلاف تأثير على النفس وعلى الفكرة التى كونتها عن الحياة • والحقيقة أن كل ما كنت أعتقده فى سنة ١٩٣٦ وما حولها من الأيام يتغير تغيرا مستمرا ، وتثبت لى الأيام أن تفكيرى فى الأيام الماضية كان خطأ ، وان نظرياتى ونظرياتك أيضا كانت كلها من بنات الخيال •• وأن الحقيقة الآن تهدم هذا الخيال بالنسبة لى ••

تصور كلامي وتعجب ٠٠ جرى ايه لجمال عبد الناصر ٠٠ ولكن اذا عشت ربع المدة التي عشتها في هذا الجو ، لـكنت العن من ذلك ٠ الاخلاص معدوم ، والذمة مفقودة ، والضمير لا تسمع عنه ٠ اذا كنت انا الوحيد في هذه البيئة اعترف بالضمير واعترف بالذمة فطبعا اكون مغبونا جدا ٠٠ اذ ان كل البلاوى ستقع على هذا الذى لا يرضى عن الذمة بديلا ٠٠ »

لقد أدخل جمال في حسابه أن الناس لا يؤمنون بالمثالية ايمانه بها ، وأنهم عباد المصالح والأهواء ٠٠

ورسم جمال رأيه في الأحداث ٠٠ صور ذلك المعنى الذى يملأ قلبه في حادث ٤ فبراير « لو أحس الاستـــعمار أن بعض المصريين ينوون التضحية بدمائهم ويقابلون القوة بالقوة ، لانسحب كأى امرأة من العاهرات ٠٠ »

اما الجيش فقد كان لهذا الحادث تاثير جديد على الروح والاحساس فيه ، فبعد أن كنت ترى الضباط لا يتكلمون الا عن الفساد واللهو ، أصبحوا يتكلمون عن التضحية والاستعداد لبذل النفوس في سبيل الكرامة ، واصبحت تراهم وكلهم ندم لأنهم لم يتدخلوا ـمع ضعفهم الظاهر ويردوا للبلاد كرامتها ويغسلوها بالدماء ٠٠ ولـكن ان غدا لناظره قريب ٠

لقد حاول البعض بعد الحادث أن يعملوا شيئا بغية الانتقام ، ولـكن كان الوقت قد فات ٠٠ اما القلوب فكلها نار وأسى ٠٠

عموما ٠٠ فان هذه الحركة ، بل هذه الطعنـة ، قد ردت الروح الى بعض الأجســاد ٠ وعرفتهم أن هناك كرامة يجب أن يستعدوا للدفاع عنها ٠ وكان هذا درسا ٠٠ درسا قاسيا ٠٠ »

وهنا تبدو في رسائل جمال روح التحفز ٠٠ روح الرغبة في الانتقام واعادة الـكرامة الى هذا الوطن ٠

***

في خلال هذه الفترة بدأ جمال عمله الفعلى ٠ أشعل الجذوة في ليالى منقباد ٠ وكان في صمته خلال نقله الى السودان ، وبعد عودته ، بعد العدة لجذوة أخرى لا ينطفىء ضوءها ولا يفرغ زيتها (على حد تعبير أنور السادات) ٠

كان جمال في خلال هذه الرحلة الطويلة يبحث عن الرجال والأعوان ، عيناه الفاحصتان تبحثان عن الأعوان والرجال ٠

ان جمال يؤمن بالحـكمة في هذه الفترة المبكرة ، ولذلك فهو يقول لصديقه في مارس سنة ١٩٤١ ، في خطاب من الخرطوم : « أرجو ألا تكون قد اندفعت بغير عقل أو تندفع بغير روية ٠٠ »

وهو بهذا التحفظ وهذه الأعصاب الهادئة ، يفكر طويلا ، وتعيش الفكرة في أعماقه حتى تنصهر وتستوى وتولد قوية حية ٠٠ لا تموت ٠

لقد فتح جمال هذا الباب الجديد ٠٠ باب الضابط المصرى المحتفظ بالكرامة الذى لا ينحنى ولا يتملق ، والذى لا يخشى أحدا الا الله ٠ هذا النموذج الجديد الذى لا يعرف السهر ولا الشراب ولا اللذات الرخيصة ، المستقيم ، الذى يصلى ويصوم ويعبد الله ويخشاه ٠

لقد كسب خبرة ضخمة من معرفة الناس والبلاد ، وشاهد عن كثب أوضاع الاستعمار فى السودان والعلمين ٠

***

وعاد جمال عبد الناصر من السودان سنة ١٩٤٢ ليكافح فى ميدان جديد ، حيث عين مدرسا بالكلية الحربية ، والتحق بكلية أركان الحرب فنال شهادتها بتفوق ، والتقى فى خلال دراسته بها بزملائه ٠ وكان الله قد أتاح لهم خير فرصة لتدارس أمورهم وتوحيد صفوفهم وكانوا يدرسون فى ذلك الوقت كيفية حماية القاهرة ومداخلها من مشاة العدو أو الهابطين بالمظلات ، فطبق كل هذا فيما بعد على ثورة الجيش ٠ وكانت الكلية تضم عددا كبيرا من ممثلى الأسلحة المختلفة فساعد ذلك على ربط اللجنة السرية بجميع اسلحة الجيش ٠

وفى هذا المحيط بدأ جمال عبد الناصر يكون مشروعه الضخم ٠



الشعب حول قائده

الجيش والثورة



دور الجيش في الكفاح الشعبي

عندما بدأ جمال عبد الناصر يؤمن بان تحـــرير مصر لا يكون الا بالقوة ، وبالتضحية ، وبافتـداتها بالنفس ، وان وسيلة القوة هي الجيش .. تحول مجرى الأحداث في تاريخ مصر ، وبدأت حلقة جديدة من حلقات جهاد الجيش في الـكفاح الشعبي .

كان جمـال يؤمن بأن الجيش هو الذي سيحرر مصر .. « وكنت اعتقد اعتقـادا راسخا بان الجيش هو الذي سيحقق آمال الوطن . كنت أرى فيكم الجمهورية وهي تزيح الملكية . كنت أرى فيكم القضاء على الاقطـاع . وكنت أرى فيكم القضاء على الاستعمار . ان شباب الجيش وقوة الجيش التي قامت بدور الطليعـة ستستمر في الطليعـة حتى تحقق آمال الوطن واحلامه .. »

لقد ربط جمال عبد الناصر ثورة ٢٣ يوليو بثورة عرابي . وهذا حق ، فقد جاءت مكملة لها محققة لما لم يتحقق لعرابي منها .

وان صفحات النصر التي أحرزها الجيش في مصر وفي غيرها ، انما هي

من أمجاده .. بصرف النظر عن الغايات التي أرادها محمد علي والمطامع التي ساقها اليه .. وموقف الجيش المصري في نفارين في ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧ كان هزة ضخمة للدول الأوروبية التي أذهلتها هذه القوة ، فقد انتصر الجيش في الاستيلاء على الميناء الأوروبي .. ولو لم تتجمع الدول الأوروبية لهزيمته ما وقعت به الهزيمة .

وان أبلغ وصف لهذا الجيش هو ما سجله السيد فتحي رضوان في كتابه «أخي المواطن» حيث قال : «جيش مصري تزاحمت فيه المفاخر أكثر مما تزاحمت في صفحة أي جيش آخر ، فلقد حارب المصريون في كل جو وفي كل ظرف ، حاربوا في الصحاري وفي الجليد وعلى ضفاف الأنهار وعلى شواطئ البحار وفي سفوح الجبال وفوق قممها . حاربوا في العالم القديم والعالم الحديث . في أوروبا وآسيا وافريقيا وأمريكا . حاربوا عند خط الاستواء في الحبشة وفي المكسيك حيث تتلظى الحرارة . وحاربوا في صحراء السودان وفي صحراء الحجاز ونجد . كما قاتلوا في القرم وفي نزيب ، حيث تتجمد الأطراف ويأكل البرد لحم البشر ، وقاتلوا تحت أسوار عكا بالشام وفي مياه نفارين باليونان» .

ونحن نستطيع أن نربط بسهولة بين موقف الجيش في تحرير مصر في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وبين موقفه في ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ ، بل اننا لا نعدو الحقيقة عندما نرى أن ثورة ٢٣ يوليو هي تتمة العمل الذي بدأه عرابي منذ أكثر من سبعين عاما .

فلا شك أن وصول أحمد عرابي الى رتبة القائمقام في الجيش ، تعد بمثابة النقطة ذات الأهمية في بروز دور الجيش في كفاح مصر وثوراتها ، فقد أنشأ محمد علي الجيش من المصريين بالرغم منه .. وبعد أن فشل في تكوينه من أولاد المماليك والضباط الأرناؤوط ، وكان أن خرج من هذا الجيش أحمد عرابي وعبد العال حلمي ومحمد عبيد .

لقد ثار عرابي وزملائه الضباط الأحرار على الظلم والضيم في أيام سوداء مظلمة ، كان طغيان أسرة محمد علي فيها بالغا غايته من العتو والاستعلاء ، ففتحوا ثغرة من النور في الليل المظلم .

ولا يقلل من عظمة العمل الذي قام به عرابي أن الثورة المصرية اذ ذاك بدأت بالمطالبة بحقوق الضباط أنفسهم ازاء طغيان عثمان رفقي ، والاتجاه الظالم بتفضيل الجراكسة والترك والاجحاف بحقوق الضباط الوطنيين في الجيش .

ولا يغيب عن البال أن أول اجتماع عقده الضباط بمنزل أحمد عرابي وحضره عبد العال حلمي وخضر خضر وعلي فهمي الديب ومحمد عبيد والفي يوسف وأحمد عبد الغفار ، قد ضمن عريضة المطالبة بتغيير نظام الحكم وعزل ناظر الجهادية وتعيين غيره من أبناء الوطن ، وتشكيل مجلس نواب من نبهاء الأمة وابلاغ الجيش العامل الى ١٨ ألف جندي .

وتبدو قوة هذه الحركة فيما قام به الضباط من الهجوم على ثكنات قصر النيل واطلاق سراح الضباط الثلاثة الذين اعتقلهم الخديو ، وكان على راس المهاجمين محمد عبيد ، فقد أمر الخديو بعد وصول هذه المطالب باعتقال عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى ، وسرعان ما سار محمد عبيد فى قواته فضرب الحصار على قشلاق قصر النيل وهجم على الديوان فبادر الجنود الى الفرار ، وفى مقدمتهم عثمان رفقى نفسه ، وفكوا أسر زملائهم وخرجوا بهم .. وعزل عثمان رفقى .. وبدأ النفوذ العسكرى يأخذ طابعا قويا أقلق الخديو وحاشيته الذين حاولوا اطفاء هذه الحركة بالتقرب الى الضباط ورفع مرتباتهم ، ولم يكن عفو الخديو عن زعماء الحركة الذين قاموا بحادثة قصر النيل الا خدعة تخفى وراءها الاستعداد لقمع الحركة والانتقام من مدبريها .

وفى هذه الفترة كانت الآمال قد تعلقت بعرابى وامتدت الأنظار اليه ، وبرزت رابطة قوية بين مطالب الجيش ومطالب الشعب الذى أحس فى صوت عرابى مخرجا ومتنفسا من الحرج والضيق الذى كان يلقاه من الخديو الظالم .

وقد وصف استاذنا عبد الرحمن الرافعى هذا الشعور فى صورة رائعة فقال « ... كل هذه الأعمال جعلت من عرابى زعيما قوميا اتجهت اليه الأنظار لتحقيق أمانى الشعب ولم يكن الجيش يصدر عن أفكار وعواطف تخالف أفكار الجماهير ، بل كان فى واقع الأمر يمثل الأمة فى افكارها ونفسيتها .. ولم يكن الناس راضين عن الحكومة وسياستها بل كانوا يتبرمون بمظالم الحكام . وينقمون من الوزارة استسلامها للنفوذ الأجنبى وخضوعها لأوامر القناصل ومحاباتها الموظفين الأجانب .. »

ولم يأل عرابى جهدا فى التحدث مع العلماء والأعيان والعمد حتى كسبهم الى صفه فاصبح قوة شعبية كبيرة لايمكن تجاهلها . ومضى يوطد نفوذه بين صفوف الضباط وحدد مطالبه بتأليف المجلس النيابى واحداث انقلاب فى الحكم يحل الشورى محل الحكم الاستبدادى .

وقد كان من نتيجة المنشورات التى وجهها عرابى الى أهالى البلاد ما وصفه عرابى فى مذكراته « .. وبناء على ذلك وفدت علينا الوفود من جميع انحاء القطر وسلمتنا عرائض النيابة عنها وفوضت الينا العمل لما فيه سعادة البلاد وخلاصها من براثن الاستبداد معلنة تضامنها معنا فى كل مانقوم به من أعمال الاصلاح .. »

وفى خلال هذه الفترة بين واقعة قصر النيل (أول أبريل ١٨٨١) و (٩ سبتمبر ١٨٨١) يوم واقعة عابدين كان عرابى قد اطمأن الى أن الجيش أصبح فى قبضة يده وان الأمة من وراءه وهنا بدأ فى احداث هذا الانقلاب بأن زحف بالجيش الى ميدان عابدين فازعج الخديو وهز



البطل أحمد عرابى

هزا عميقا وفشلت كل محاولاته فى منع المظاهرة أو تأجيلها وزاد الأمر خطورة عندما أنضم حرس الخديو الخاص الى صفوف الكتائب

ونزل الخديو الى الميدان ومعه القناصل الانجليز والمراقب المالى الانجليزى حتى اذا ماتوسط الميدان نادى عرابى فجاءه راكبا جواده شاهرا سيفه وخلفه نحو ثلاثين ضابطا شاهرى السيوف ·

ودار بين عرابى وبين الخديو حوار تبين فيه مدى الاحتقار الذى كان يكنه الخديو للمصريين ·

الخديو ـ ماهى أسباب حضورك بالجيش الى هنا ·

عرابى ـ جئنا لنعرض طلبات الجيش والأمة وكلها طلبات عادلة ·

الخديو ـ وماهى هذه الطلبات ٠

عرابى ـ عزل رياض باشا وتشكيل مجلس النواب وابلاغ عـــدد الجيش الى العدد المعين فى الفرمانات السلطانية ٠

الخديو ـ كل هذه الطلبات لاحق لكم فيها وانا ورثت ملك هـذه البلاد عن آبائى وأجدادى وما أنتم الا عبيد احساناتنا ٠

عرابى ـ لقد خلقنا الله احرارا ولم يخلقنا تراثا وعقـــارا فوالله لا اله الا هو اننا سوف لانورث بعد اليوم ٠

وعاد الخديو الى داخل السراى ٠ وقبـــل مطالب عرابى وسقطت وزارة رياض وعين محمد شريف رئيسا للوزارة وكان هذا هو اوج النصر لحركة الجيش ٠

وتطورت ثورة عرابى تطورا لم يكن فى يده ، فقد انتصر الانجليز بفعل الخيانة لا بضعف الجيش ومال الخديو نحو الانجليز واســـلم نفسه اليهم وأعلن خيـــانة عرابى الذى وقفت الامة كلها من حوله لتفتديه بالأرواح ٠

شتت الخديو والانجليز عرابى وانصاره وسحقوا هـــذه القوة الشعبية الضخمة سحقا ، وظل عرابى الى عهدقريب يوصف بالخيانة فقد كانت أسرة محمد على ماتزال تحكم البلاد وتقف بالمرصاد للتاريخ الحق لهذا البطل وتغض من قدر هذا العمل الخالد الذى هز هـــذه الأسره هزه عنيفة وجعلها تتأهب للهزه الأخرى التى أسقطتها من مكانها ٠

وسرعان ماوضع الانجليز يدهم على الأمـــور فى مصر وكان أول عمل لهم هو الغاء الجيش المصرى بصفه عامة وانشاء جيش صغير يرأسه ضباط من الانجليز فما أن تم للانجليز احتلال العاصمة فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ عقب هزيمة العرابيين حتى أصدر الخديو توفيق مرسوما بالغاء الجيش المصرى فى ١٩ سبتمبر ١٨٨٢ بعد أن قبض على كبار الضباط لمحاكمتهم ٠ كما صدر مرسوم بتجريد جميـــع الضباط الذين اشتركوا فى الثورة العرابية ممن كانوا فى رتبـة يوزباشى وماهو أقل منها ، وحرمانهم أى حق فى المعاش أو مرتب الاستيداع ٠

وعهـد بتنظيم الجيش الجـديد الى ضابط انجليزى هو (فالنتين بيكر) ليكون خاضعا للدمياسة البريطانية الذى بدأ فى خلق جيش جديد يكون اداة فى يد الانجليز ، واقترح اللورددوفرين انقاص عدد الجيش الى ستة آلاف ٠

وانحط مستوى الجيش الى أبعد حد والغيت الصناعات الحربية كما الغيت البحرية المصرية وظل كذلك حتى قال ســـعد زغلول لعبد الرحمن الرافعى فى برلمان ١٩٢٤ عنـدما سأله عن موقف مصر من بعض الحوادث فى السودان كلمته المعروفة ، هل عندكم تجريدة ،

وبقى الجيش شيئا بعيدا عن الميدان السياسى يسيطر عليه الانجليز ولايسمحون بتقويته أو زيادته .

وقد وقعت فى يونية١٩٢٧ أزمةسياسية حادة بين مصروبريطانيا بشأن الجيش اذ تضمنت الميزانية تقريرا باصلاح الجيش المصرى وترقية التعليم فى المدرسة الحربية ، وقبل أن تتقدم اللجنة الفرعية للميزانية ببحث هذه المقترحات علمت بها دار المنـدوب السامى والصحف البريطانية فهبت ترعد وتبرق وتهدد وتتوعد ونشـأت أزمة ضخمة كان مظهرها توجيه مذكرة من الحكومة البريطانية الى الحكومة المصرية فى ٢٩ مايو ١٩٢٧ جاء فيهـا أنه لوحظ فى الأيام الأخيرة أن هناك اتجاها مقلقا يرمى الى ادخال النفوذ السياسى فى الجيش المصرى واصطحب هـذا الاتجاه بمحاولات أكيدة للتقليـل من اختصاص المفتش العام للجيش والضـباط البريطانيين الذين يعملون فى المصالح المختلفة التابعة لوزارة الحربية . وترى الحكومة البريطانية أن الموافقة على هذه التوصـيات يقلل كثيرا من الفرص التى تتهيأ للتسوية الودية لهذه المسألة الهامة بين مصر وبريطـانيا العظمى ، ولذلك تدعو الحكومة المصرية الى اعادة النظـر فى موقفها بغير ابطاء وتضمنت المذكرة طلبات جـديدة تضيف الى سلطان انجلترا على الجيش المصرى سلطانا جديدا بتعيين ضباط بريطانيين جدد ورفع درجة اللواء سفينكس باشا المفتش العـام للجيش الانجليزى الى رتبة فريق وان تضم مصلحة الحدود وخفر السواحل لاشراف المفتش العام البريطانى للجيش .

وبذلك عاد الجيش المصرى الى أسوأ مما كان فى أيام الحماية .

وأذاعت الأنباء أن ثلاث بوارج بريطانية أمرت بالسـفر من مالطة الى المياه المصرية وقال وزير خارجية بريطانيا فى مجلس العموم أن الحكومة المصرية تدخلت فى هذه المسألة لأن فريقا من السـاسة المصريين ذوى الكلمة النـافذة أراد استعمال الجيش أداة معـادية لانجلترا والدليل على ذلك أنه طلب زيادة وحدات الجيش .

وخضعت الحكومة المصرية للانـذار البريطانى ونفـذت كل ماتضمنه .

وفيما عدا هذا الحادث لم يسمع عن الجيش المصرى شيئا فى ذلك التاريخ الطويل وظلت قبضة بريطانيا عـلى الجيش المصرية قوية حتى جاءت معاهدة ١٩٣٦ حيث تقرر ايفاد بعثة بريطـانية لتدريب الجيش المصرى . وقد قدمت هذه البعثة من ١٥٠ ضـابطا وصف ضابط وكلفت الخزانة فى الفترة التى أقامتها فى مصر ستة ملايين من الجنيهات واعتبرت التقارير التى وضعتها البعثة ملزمة تنفـذ بدون معارضة من جانب الجيش المصرى .

واستمرت ١٠ سنوات (١٩٣٦ - ١٩٤٦) وأشارت ملاحق معاهدة صدقى بيفن الى تحويل هذه البعثة العسكرية الى لجنة دفاع مشترك .

وظلت بريطانيا تحول بكل قواها دون تكوين الجيش المصرى أو تزويده بالأسلحة أو بناء المصانع الحربية وغيرها .

وكان فاروق بوصفه القائد الأعلى للجيش يفخر بأن هذا الجيش ليس جيش مصر بقدر ماهو جيش فاروق . وتولى أمـــرته رجال حاولوا أن يخضعوه لسلطانه وكانت الأحاديث تروى عن مـــدى هذا الولاء ...

ومن سخرية الاقدار بفاروق انه فى نفس هذاالوقت الذى كان يرى من الجيش العصا التى يهدد بها البلاد ، كان الجيش يتجمع ليضرب الضربة الأخيرة وليتم عمل عرابى وليفتح لمصر بابا جـــديدا من الحرية .

وجاءت احداث ٤ فبراير ومعركة فلسطـين ومعـــركة القنال فاججت النار ورتبت الخطط ودفعت الضباط الاحرار الى الثورة .

وكانت فلسطين هى الموقعة الأولى لجيش مصر بعد أكثر من ٦٠ عاما وقد دلت جميع التقارير على أن الجيش لم يهزم بالرغم من نقص الامكانيات والعتاد الحربى وانما هزمته السياسة فى مصر فقد كانت روحه المعنوية عالية لولا مابيتته السياسة ومن وراءها بريطانيا له فى القاهرة من مناورات .

وقد سجل جمال عبد الناصر هذه المرحلة من التاريخ فى عبارات قليلة واضحة :

قد يحدد الناس تاريخ الثورة المصرية التى قام بها الجيش ممثلا للشعب باليوم الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ .

والواقع أن فى هذا التاريخ مجافاة للواقع لانه لم يكن الا آخـــر مراحل الثورة ، اما أولى مراحلهـــا فسابقة لهـــذا التـــاريخ عشرات السنين .

أنه اليوم الحادى عشر من يوليو ١٨٨٢ أى قبل هـــذا التاريخ الأخير بسبعين عاما واثنى عشر يوما على التحديد .

ففى ١١ يوليو ١٨٨٢ ضربت الاسكندرية الوادعة بمدافع العدوان البريطانى ثم كان الاحتلال البغيض واشتعلت مصر ثائرة وخـــرج الجندى والفلاح احمد عرابى على رأس ثورة الاحرار من الضـــباط والجنود ليرد هذا العدوان الطاغى .

ولكن الثورة لم تحقق أهدافها واكتفت بأن ســـجلت مولدها . وكان لابد لها وقد بدات طفله ساذجة صغيرة من أن تصـــبر حتى تنمو مع الأيام حتى اذا أصبحت مكتملة قادرة على أن تقوم بعمـــل ما لم تتردد فى القيام به .

لقد حددت الثورة أهدافها منذ اليوم الأول لمولدها . « لابد من تحرير مصر ولابد من جلاء قوات الاحتلال . » .

وكلما كانت الثورة تنمو كانت هذه الأهداف تزداد عمقا فى ضميرها . وكلما كانت الأيام تمر كانت هذه الاغراض تشتد اتصالا بإرادتها فما أن أقبلت ثورة ١٩١٩ وكانت الحرب العظمى قد انتهت . حتى هبت الثورة تطالب بتحقيق اهدافها فصاحت « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » وكانت تعنى ماتقول فبذلت فى سبيل فكرتها وهدفها دما ذكيا وتضحية عاليه وروحا سامية .

ولم تخف الثورة أمام رصاص المستعمرين . ولا أمام أذنابهم من رخاص المصريين ولكنها مضت قدما لاتبالى بالخديعة والدس واذا كانت الثورة بطبيعتها طيبة القلب صادقة النية فقدت صدقت الخداع والخادعين ، وسكنت وأخذت تنتظر الوعود فاذا الوعود سراب .

واذا بالثورة العارمة التى قامت لجلاء المستعمرين عن أرض الوطن ترضى بدستور سنة ١٩٢٣ بدلا من أهدافها الكبرى .

وثارت الثورة على نفسها ولكن المناورات الاستعمارية كانت قد كبلتها فما كانت تستطيع الا أن تنتظر بعض الوقت حتى تفك قيودها .

واكتفت الثورة من وقتها بأن تنظر حواليها وهى تسخر ممن استغلوها وأخذوا يتجرون بها ويتلاعبون باسمها .

كان كل من يريد أن يكسب لنفسه مجدا يعلن صلته بها ، كان كل من يريد أن يكسب لنفسه مركزا يباهى بأنه ابن الثورة وصانعها ومحركها . وأصبحت الجماهير ضحية هذه المزايدات الوطنية . وهذا اللون الجديد من الوان الاستقلال السياسى والاتجار باسم الثورة .

وبدأ تجار السياسة يختلفون ويتفقون دون أن يكون لاهداف الثورة دخل فيما يختلفون وفيما يتفقون .. »

وغاية القول أن القصر والانجليز حملا على افساد الجيش وجعله أداه طيعه فى أيديهم ، وحرصا على خنق كل روح وفيه حتى يظل العوبه فى أيديهم . وحتى يظل تحت سلطانهم . ويظل قوة ارهابية للشعب ، لايلتقى به دائما ليبقى عاملا من عوامل اخافته .

وقد وصف جمال عبدالناصر هذا المعنى فى قوله : لقد كان الحاكم فى الماضى يعمل كل مافى وسعه للفصل بين الشعب والجيش .وكانوا يجيبون مطالب الضباط فى الجيش حتى يظلوا أداه فى يد الطغاه للضرب على يد الشعب ، ولكن فئة من ابناء مصر الأحرار عرفت أن الشعب اذا كان يمثل الحق . فان الجيش يمثل القوة . وان الحق يحتاج الى القوة حتى يظهر واضحا جليا . وعملنا متعاونين متساندين حتى التقى الحق والقوة فى هذه الثورة الشعبية » .

لقد آمن جمال بالجيش على أنه أداة تحرير مصر فبدأ يكون مجموعته ويضم اليه أعوانه ويعد عدته لأمر خطير . لسحق هذه الملكية الطاغية .. وهذا الاستعمار البغيض .

ولم يكن فى الامكان أن تغير وطن وجيشه العوبه فى يد الطغاه . وهو ذليل ضعيف « ان الجيش هو عنوان شرف الامة وهو قبضتها التى تضرب بها المهاجمين . وتلوح بها فى وجه المتربصين . وهو آخر الأمر خلاصة مافى الشعب من قوة وثروة وعلم واخلاق ، فلن يكون فى امة ضعيفة جيش قوى ولن يكون جيش ضعيف فى أمة قوية » .

ولذلك فان أول خطوه فى ثورة ٢٣ يوليو كانت تخليص الجيش نفسه من قيادته القديمة البالية . كما جاء فى أول بلاغ لها « اجتازت مصر فترة عصيبة من تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم . وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش وتسبب المرتشون المغرضون فى هزيمتنا فى حرب فلسطين .

وأما فترة مابعد الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمره اما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها . وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا . وتولى أمرنا فى داخل الجيش رجال تثق فى قدرتهم . وفى خلقهم وفى وطنيتهم .. »



القائد مع الجندى



نظرة على العمل الضخم

جمال يرسم خطة الثورة



« اليوزباشى جمـــال »

بدا جمال ينظم خطوط العمل الكبيـر الذى ظل يفـكر فيه ويعد نفسه له منذ أول الشباب •

الوقت عام ١٩٤٢

لقد وصف هو هذا الاتجاه فى انه كان مجموعة مشاعر اتخـذت شكل الأمل المبهم ، ثم شكل الفـكرة المحددة ، ثم دخـل فى دور التجارب : أى طريق يمكن ان يصل به الى الغاية الكبرى وأى عمل •

كانت الحماسة فى فترة من فترات حياته هى العمل الايجابى • ثم تغير مثله الأعلى واصبح يرى انه لايكفى أن تضج أعضـابه

بالحماسة ، وانما عليه ان ينقل حماسته كى تضج بها أعصاب الآخرين

ومضت هذه الفترة فى حياة جمال عبد الناصر .

ثم توهجت فى خياله المشتعل فكرة الاغتيالات السياسية على أنها العمل الايجابى الذى لامفر من الاقدام عليه لانقاذ مستقبل الوطن .

وفكر فى اغتيال كثيرين وجد أنهم العقبات التى تقف بين الوطن وبين مستقبله وراح يفند جرائمهم ويضع نفسه موضع الحكم على اعمالهم ، فكر فى اغتيـال الملك السابق وبعض من رجاله الذين كانوا يعبثون بحقوق البلاد .

وانتقل الى التدبير . وأخذ يرسم الخطط المتعددة .

كانت حياته فى هذه الفترة أشبه بقصة بوليسية . كلها اسرار ورموز ستتار بالظلام ... مسدسات وقنابل ..

ولكن هل أستقر هذا الاتجاه فى ضميره كعمل حاسم ..

كلا . لم يكن مستريحا فى أعماقه الى تصور العنف على أنه العمل الايجابى الذى ينقذ مستقبل مصر .

ولندعه يصور لنا هذه الفترة العصيبة فى حياته .

« كانت فى نفسى حيرة تمتزج بها عوامل متشابكة . عوامل من الوطنية ومن الدين . ومن الرحمة . ومن القسوة . ومن الايمان . ومن الشك ..

واذكر ليلة حاسمة فى مجرى افكارى وأحلامى فى هذا الاتجاه .

كنا قد اعددنا العدة للعمل . واخترنا واحدا قلنا انه يجب أن يزول من الطريق . ودرسنا ظروف حياة هذا الواحد . ووضعنـا الخطة بالتفصيل . وكانت الخطة أن نطلق الرصاص عليه وهو عائد الى بيته بالليل . ورتبنا فرقة الهجوم التى تتولى اطـلاق النار . ورتبنا فرقة الحراسة التى تحمى فرقة الهجوم . ورتبنا فرقة تنظيم خطة الافلات الى النجاه بعد تنفيذ العملية بنجاح .

وجاءت الليلة الموعودة . وخرجت بنفسى مع جماعات التنفيذ . وسار كل شىء طبقا لما تصورناه .

كان المسرح خاليا كما توقعنا .. وكمنت الفرق فى اماكنها التى حددت لها . واقبل الواحـد الذى كان يجب أن يزول . وانطلق نحوه الرصاص . وانسحبت فرقة التنفيذ . وغطت انسـحابها فرقة الحراسة . وبدأت عملية الافلات الى النجاه وادرت محـرك سيارتى وانطلقت أغادر المسرح الذى شـهد عملنا الايجابى الذى رتبنـاه .

وفجأة دوت فى سمعى أصوات صراخ وعويل . وولولة امرأة . ورعب طفل . ثم استغاثة متصلة محمومة . وكنت غارقا فى مجموعه

من الانفعالات الثائرة والسيارة تندفع بى بسرعة •
ثم أدركت شيئا عجيبا • كانت الاصوات مازالت تمزق سمعى• والصراخ والعويل والولوله والاستغاثة المحمومة •
لقد كنت بعدت عن المسرح باكثر مما يمكن أن يسرى الصوت • ومع ذلك بدا ذلك كله كانه يلاحقنى ويطاردنى •
ولم أنم طوال الليل ••
أكنت على حق ، أكانت تلك هى الوسيلة التى لامفر منها ، أيمكن حقا أن يتغير مستقبل بلدنا اذاخلصنا من هذا الواحد أو من واحد غيره • أم المسألة أعمق من هذا• »
وخلص من هذا التفكير الى نتيجة حاسمة :
« اننا نحلم بمجد امة ، ويجب أن نبنى هذا المجد ، واذن يجب ان نغير طريقنا ليس هذا هو العمل الايجابى الذى يجب أن نتجه اليه ، المسألة أعمق جذورا وأكثر خطورة وابعد غورا • »
وهكذا تحدد الهدف أمام الرجل الذى أعد نفسه لقيادة الثورة فى العمل الايجابى المنظم القائم على اعداد تشكيل ضخم فى قلب الجيش فمضى ينظم خطوطه ويحدد أعوانه ويرسم خطواته •
« (١) •• وكان جمال الذى يعمل هو جمال الناضج الذى مرت به تجارب السنوات الست الكثيرة • سنوات الحرب • وما تخللها من احداث داخلية وخارجية • وما رآه فيها من هزات عنيفة ومن محاولات وطنية واخرى خائنة ومن بطولات زائفة وأساليب خادعة • ومن أوضاع غريبة حلت بالجيش أو فرضت عليه •• »
وكان اخوانه الذين تعرف بهم وربطت بينه وبينهم أواصر الصداقة والاجتماع على الهدف قد بدأوا يندمجون فى صورة منظمة•
ان القصة الحقيقية للضباط الأحرار لم تكتب بعد • قصة التضحية وانكار الذات قصة الجنود المجهولين الذين التفوا حول هذا الشاب السمهرى القوام • وامنوا بفكرته وأحبوه •واستمدوا ايمانهم من ايمانه •
وقد مرت عملية الاعداد فى مراحل ثلاثة • الاولى خلال الفترة الواقعة بين سنة ١٩٤٢ وسنة ١٩٤٥ وهى فترة صعبة قام خلالها بنشر مبادئه واشعال الروح الوطنية وكان أول وهج لذلك هو حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ الذى اهدرت فيه كرامة الوطن •
لقد كانت فرصة طيبة لكى يملأ قلوب الضباط بالحماس ووجد جمال فرصته فى التعرف الى النفوس التى كانت حوله ، ومدى ايمانها بالعمل للوطن •
كان يستمع صامتا • ويستدرج من يرى فيهم روح الوطنية

---

(١) أنور السادات فى كتاب صفحات مجهولة

الى امتحان دقيق ، ويضعهم تحت الاختبار ، ومن هنا كان اخوانه وأعوانه نماذج صادقة من الوطنية والايمان بمصر • والفداء والتضحية كانوا • كأخاهم الأكبر • يؤمنون بأن يقدموا روحهم فداء لمصر • ويهبوا نفوسهم خالصة •

ودخلت الحركة في الدور الثاني توا ، بين ١٩٤٥ ومايو ١٩٤٨ اذ بدأت تأخذ شكلا منظما • واصبح من حول جمال مجموعة كبيرة •

يقول جمال « •• كنا مترددين ـ فى هذه الفترة ـ أول الأمر فى الخطة التى نسلكها لتحرير الوطن • وهل نبدأ حربنا بالاستعمار أولا أم نبدأها بأعوانه ، ولكن ترددنا لم يطل اذ رأينا أن الاستعمار لايستطيع أن يثبت أقدامه الا باعتماده الكامل على أعوانه من الخونة أو الاشخاص الذين تتفق مصالحهم مع سياسة المستعمر المتقلبة المتغيرة حسب ظروفه وأهوائه فى تقريب الأشخاص أو الأحزاب •• »

وقد اعترضت طريق المرحلة الثانية عقبات • « كان اهمها عدم وجود الثقة فى النفوس • فالفرد لايثق بنفسه ولا بزميله • وكانت هذه أصعب فترة مرت بنا • لذلك بذلنا جهدنا فى بث الثقة بين الضباط • وكنا تنتفع بالصداقات التى تربط الضباط بعضهم ببعض لايجاد هذه الثقة وعدم افشاء الاسرار الشخصية للافراد ثم أسرار حركتنا •

واستطعنا بذلك ضم أحرار جدد الى صفوفنا فى الوقت الذى كانت المخابرات السرية والبوليس السياسى ينشط فى تعقب أى حركة • ولكننا نجحنا بفضل الايمان بالله والايمان بالوطن والصبر والعزيمة •• »

وقد روى السيد أنور السادات قصة حدثت فى هذه المرحلة تصور الى أى مدى كان جمال عبد الناصر يصنع الثورة فى حكمة وعقل ، وكان لا ينتقل خطوة الا بعد أن يتأكد من أن الارض ثابتة تحت قدميه •

« •• كنت أتعجل وكان جمال يتريث • حتى آتى اليوم الذى شكلت فيه وزارة المرحوم النقراشى عقب مصرع أحمد ماهر • وذهب النقراشى الى السفارة البريطانية فقابله كليرن على سلم السفارة • وكانت هذه القصة حديث مصر •

فقد كانت قصة بغيضة فاضحة • ولم يكن فى البلاد مصرى واحد يحتمل سماعها دون أن تفور الدماء فى عروقه ويهم بأى عمل يمكن أن يسمى من أعمال الجنود • فقد كانت خلاصة هذه القصة ان النقراشى لم يكد يشير الى مطالب مصر حتى هز ذلك اللورد كتفيه فى استهتار وسخرية • وقال للنقراشى دعك من هذا الكلام

فان حديث الجلاء والوحده ليس الا حديث خرافه •
وكانت لطمة قاسية اردنا أن نردها •

وذهبت الى جمال • وفى يدى خطة من التشكيل الشعبى لنسف السفارة البريطانية على كل من فيها • واستمع الى جمال طويلا • وناقش خطتى مناقشة كاملة • واقر كل أطرافها وعناصرها • ولكنه فى آخر الأمر هز راسه وقال لا : نحن لانريد أن نعيد مأساه السودان التى وقعت منذ عشرين عاما •• »

هذا هو جمال فى صورة القائد المسئول الذى يعد نفسه لثورة كبرى ، أنه مثل للعقل الكبير الذى لاتهزه العاطفة فتخرجه عن الحكمة ، وتعرض البناء كله للخطر •



الشرق : اخوة وسلام



بســـاطة وتواضع

جمال في فلسطين

المرحلة الثالثة للحركة



ودخلت حركة الاعداد للثورة في مرحلتها الثالثة ...

وكانت حملة فلسطين ونتائجها هي روح هذه المرحلة الخطيرة الحاسمة ..

وكان جمال قد انتهز هذه الفرصة فقدم استقالته ليشترك في التطوع لفلسطين وليحارب بنفسه وكان ذلك قبل دخول جيش مصر الحرب بصفة رسمية . وقد اتخذ هذا القرار بالرغم من أنه لم

يكن له ولاولاده مورد آخر ، ولكن طلبـــه رفض ، وتحقق أمله بأن سافر مع القوات المصرية .

« ... وسارع الضباط الأحرار فى التطوع مع البطل أحمـد عبد العزيز . وكان اغلب المتطوعين من الضباط الأحـرار الذين سارعوا لنجدة اخوانهم العرب واشترك الجيش المصرى فى حـرب فلسطين ، وبدأت الحيـاة تظهر كل يوم بوجه جـديد وبدأت النفوس تتحد بعد أن جمعتها الآلام ... »

وكانت معركة فلسطين هى بؤرة الثورة .. فهنا كابين خطوط القتال وخنادق الحرب كان جمال يجتمع بصلاح سالم وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وكمال الدين حسين وغيرهم من زملائه. كانوا يتناجون بمصر وأمور مصر ، وقد تأكدت بينهم وحدة التفكير وروابط الثقة .

وكشفت فلسطين لجمال عبد الناصر عن دوره الحقيقى .واكدت فى نفسه حاجة مصر الى القائد والزعيم والمنقذ .. فقد كشفت عن مخاز ومآسى جعلت افكاره تتبلور ضـد فاروق ورجاله ، وخاصة لما كان يلمسه من احتياجات الجيش الى ذخيرة وامكانيات لاتتوفر له.

ثم قصه المجدل التى كان الجيش يتوجه لأخذها بأمر من فاروق دون أن يكون لديه أى استعداد .

وكشفت فلسطين عن بطولة جمال عبد الناصر فقد قاد المعارك التى وكلت اليه بروح عالية ، وكان يتصدر جنوده دائما فى المعارك .. مما أدى الى اصابته برصاصة فوق القلب فارسـل الى مستشفى غزه للنقاهة لمدة شهر ، ولكنه لم يحتمل البقاء فى السرير ، فهرب بعد بضعة ايام وعاد الى فلسطين .

ويصف جمال شعوره فى هذه الفترة ، يقول :

« .. لقد كنا نحارب فى فلسطين ولكن احلامنا كانت فى مصر . كان رصاصنا يتجه الى العدو الرابض أمامنا فى خنادقه ... ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا الذى تركناه للذئاب ترعاه . »

« .. وفى فلسطين كانت خلايا الضباط الأحرار تدرس وتبحث ويجتمع فى الخنادق والمراكز .. »

وقال الشهيد أحمد عبد العزيز ان ميدان الجهاد الأكبر هـو فى مصر .

وفى الفالوجا : كانت هناك تجربة أخرى .

« كانت الفالوجا محاصره . وكان تركيز العـدو عليها ضربا بالمدافع والطيران تركيزا هائلا مروعا . وكان جمال يقول لنفسـه هانحن فى هذه الجحور محاصرين . لقد غرر بنا ودفعنا الى معركة لم نعد لها .. لقد لعبت مطامع ومقدرات وشهوات وتركنا هنا تحت النيران بغير سلاح . »

• وهذا وطننا هناك •• أنه فالوجه أخرى على نطاق كبير حاصرته المشاكل والاعداء وغرر به • •

وكان جمال أركان حرب الكتيبة السادسة بنادق وحوصرت كتيبته فى عراق المنشية • وهوجمت مرتين • وانتصر جمال • انتصر بقوة أعصابه ومبادئه فقد استدعى نصف القوات المعسكرة فى الجانب الآخر من حدود المعركة دون أن يعلموا أن اليهود قد توغلوا هذا التوغل الخطير فى صفوفهم واقتحم جمال المعركة بالمدد الجديد وانتصر ••

لقد شهد جمال معركةفلسطين منذ يومهاالأول الى يومهاالأخير ؟ من ١٦ مايو ١٩٤٨ الى ٦ مارس ١٩٤٩ • فماذا أعطته • ماذا أمدت هذه الشخصية الثائرة التى كانت تعد عدتها لعمل ضخم كبير •

لقد اعطته فلسطين الحقيقة الأخيرة •• الايمان الأكيد بأنه على الحق • وبان مصر تمر بمرحله الغروب • غروب الدولة الظالمة الفاجره • المستبده • ليشرق على يديه فجر جديد •

آمن جمال بأن مصر لاتستطيع بعد هذا أن تنتظر كثيرا • هذه علامات النهاية •

واعطت فلسطين جمال تجارب جديدة فهى أول معركة فعلية يخوضها هو •• ويخوضها الجيش المصرى كله منذ سبعين عاما ، فكان على الرجل الذى كان يدرس فى كلية أركان الحرب أن يدرس المعركة على الطبيعة بصورة واقعية •

وكان من الضرورى أن يصادفه فى هذه الحرب مواقف حرجة •

ومن اهم هذه المواقف ليلة ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ •

وقد روى جمال هذا الموقف الخطير :

ليلة ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ فى فلسطين

• كان احرج موقف هو ليلة ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ـ كنت أركان حرب الكتيبة السادسة التى كانت تحتل عراق المنشية فى منطقة الفالوجا المحاصره • وكانت عراق المنشية تبعد عن الفالوجا بحوالى ٣ كيلو مترات ، وفى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، أبلغنى قائد احدى السرايا أن اليهود قاموا بهجوم ليلى ، وانهم استطاعوا أن يتسللوا خلال سريتهم وانهم يندفعون الى داخل عراق المنشية ولم يكن عندى احتياط سوى عشرين جنديا فقط • ولكننى تمكنت بواسطة هذا الاحتياطى الصغير أن أسد المنافذ المؤدية الى رئاسة الكتيبة • وبعد ساعة كان اليهود يحتلون ثلثى البلدة • ونحن نحتل الثلث الآخر • وكانت قواتنا موجودة

فى خنادقها حول البلدة ، كان الموقف فى غاية الخطورة والحرج ، وكان الحل الاول هو طلب معونة من الفـــالوجا • اذ أن لديها قوات احتياطية كبيرة • وقد وعدونى بارسال قوة استطيع بها أن أقوم بهجوم مضاد لطرد قوات العدو من البلدة وبدأت أنفذ خطه أخرى هى سحب بعض الافراد من القوات الموجودة بالخنـــادق لتعزيز الاحتياطى الموجود حول مركز رئاسة الكتيبة • وحتى الســـاعة الرابعة لم يصـــل أى شىء من الفولوجا • واستنتجت أنهم لم يبتوا فى : هل يرسلون قوة أم لايرسلون وكان تفكيرهم أنهم لو فعلوا ذلك سيكون مصيرهم مثل مصيرنا تماما • وهو القتيـــل أو الأسر ••

ولم يكن أمامى غير حل واحد فى هذا الوقت العصيب الحرج • هو اعتمادنا على انفسنا فاصدرت الاوامر بسحب جميـــع قوات الكتيبة من الخنادق وبجمعها فى ثلث البـــلد الذى كان لايزال فى أيدينـــا ، وقد تم سحب هـــذه القوات بكل هدوء وعند أول ضوء من الصباح كانت جميع أفراد الكتيبة تقريبا تكون قوتين متقاربتين وبدأنا فى تنفيذ خطة الهجوم المضاد لطرد اليهود • وكانت مفاجأة مذهلة لليهود ، الذين لم يتوقعوا انتظارا ، ودامت المعركة الحامية من الساعة السادسة الى التاسعة وانتهت بقتل ٣٠٠ يهودى وأسر خمسة منهم وفرت باقى القوات المعادية التى كانت فى قلب البلدة • وعند الساعة الحادية عشر تقريبا استعادت قواتنا مراكزها حـــول البلدة •• »

وماذا بعد فلسطين :

« •• وعدنا من فلسطين فى مارس ١٩٤٩ وبدأنا نجمع صفوفنـــا بعد أن تفرقت جموعنا • وقتل فى الحـــرب عدد كبـــير من الضباط الأحرار • وتخلف البعض منـــا فى الطريق • اذ رأى أنه لا أمل لنجاح خطتنا الا بالاتصال بالملك لسابق والاتحـــاد معه فى حربنا مع المستعمر وأعوانه من الخونة • واتصلوا برجال الملك السابق فساقتهم شروره ومفاســـده • وحادت بهم عن خطتهـــم • لقد كانو وطنيين • ولكن الغواية اضلتهم عن الطريق الصحيح • ورأينا ازاء ذلك أن نحيط اعمالنا بكثير من الحذر لأن البعض يعرف الكثير من أسرارنا وهو متصل بالملك ورجاله •

وتظاهرت أنا وزملائى أمام هذه الجماعة بأننا صرفنا التشكيلات التى كنا أقمناها • وانه أصبح لاهم لنا الا أكل العيش •• »

وكانت هزيمة فلسطين ، هى الشر الذى ينبثق منه الخير والنور • فقد كانت بصفحاتها السوداء كوة النور التى لمع منها شعاع الثورة • كانت بداية النهاية بالنسبة لعهد ونظام وحكام وملك •• كانت

علامة الغروب . وملامح الرجل المريض وهو يلفظ آخر أنفاسه ؟
كانت مأساة فلسطين هي المسمار الاخير في نعش دولة الخونة والسماسرة الذين حكموا الشعب وقتلوا جنوده وضباطه ومزقوا كرامته وسخروا من مقدساته ..

وسرعان ما أعاد جمال بناء الضباط الأحرار وفق تنظيم جديد يكفل السيطرة على الجيش كنقطة البدء لتحرير مصر .
ولطالما فكر جمال عبد الناصر واخوانه فيمن يتولى المعركة ... وانتهى هذا التفكير بنهاية واحدة . هو أن الجيش وحده هو القوة الباقية النظيفة التي لم تتلوث والتي تستطيع أن تقوم بهذا الدور ، اذ لديها الامكانيات الكاملة .
بل لقد تأكد جمال عبد الناصر ـ وتأكد الشعب كله من بعد ـ بأن أي مجموعة أخرى لو أرادت أن تؤدي هذا الدور لفتحت الباب لفتنة دامية وخلاف عنيف لا تعرف مداه ولا نتائجه .. وكأنما قد ادخر الله هذا الجيش على هذه الصورة التي كنا نعرفها ليؤدي هذا الدور الحاسم في تاريخ مصر **وليطلع الفجر على البلاد بعد ليل طويل مظلم ..**
« أكان لايمكن أن تظهر هذه القيادة من خارج قوات الجيش والا كانت مذبحة يفنى فيها الجيش والشعب قبل أن يفنى الأعداء فمن غير القوات المسلحة كان لا يمكن للشعب خوض معركته ضد اعدائه ـ لأن القوات المسلحة كانت في هذه الحالة ستنضم الى الجانب الآخر . الى جانب القصر والاقطاع والاستعمار والرجعية ، ليس لأن وحداتها خارجة على الشعب بل لأن قيادتها كانت خاضعة لأعداء الشعب ... وكانت تعمل على حماية هؤلاء الأعداء » .

رئيس الوزراء يحقق مع جمال

عاد جمال وأخوانه بعد رفع حصار الفالوجة ... وماكاد يصل الى بيته حتى حضر لزيارته من طلب اليه مقابلة رئيس أركان حرب الجيش الذي طلب اليه مقابلة رئيس الوزراء في ذلك الوقت(ابراهيم عبد الهادي) حيث وجهت اليه تهمة العمل ضد القصر ولندع جمال عبد الناصر يروي بقلمه قصة هذا التحقيق :
كان هذا أول تحقيق معي وأنا ضابط . ولو أنه لم يكن أول تحقيق معي . فقد أجروا معي عدة تحقيقات من قبل وأنا طالب بالمدارس الثانوية .

---

(١) كتاب « صفحات مجهولة » بقلم عميدنا السيد أنور السادات وهو من أهم المصادر التي اعتمدت عليها .

حضر الى أحد الضباط نحو الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ٢٥ مايو · وأخبرنى أن رئيس هيئة أركان حرب الجيش يطلبنى لمكتبه . وسألنى وهو مضطرب عما اذا كنت قد عملت شيئا يستحق المؤاخذة فطلبت من زوجتى أن تبلغ عبد الحكيم عامر بأمر استدعائى اذا لم أعد حتى الساعة الرابعة ، فقد أحسست بالخطر وكانت التهمة الموجهة الى فى ذلك الوقت هو تدريب المجاهدين فى فلسطين

وأجرى رئيس الوزراء التحقيق بنفسه معى · وقد دام هذا التحقيق سبع ساعات فى حضور الفريق عثمان المهدى رئيس هيئة أركان حرب الجيش وحضر اللواء أحمد طلعت رئيس البوليس السياسى جانبا منه ·

ولقد كانت أعصاب رئيس الوزراء ثائرة فى ذلك اليوم · وكان يسألنى عن الضباط الذين اشتركوا معى فى التدريب · وكان يهددنى باحالتى الى النيابة والبوليس لتأخذ الاجراءات معى · وقد كانت هذه الاجراءات تعنى الذى كان الشعب بأجمعه على علم به ·

ولقد كنت مالكا لأعصابى فى ذلك اليوم· وطلبت منه أن يواجهنى بالمبلغين

وسألنى فى التحقيق هل عندى أسلحة فى منزلى · فقلت له عندى ذخيرة يهودية من فلسطين تبلغ حوالى ٢٠٠ طلقة مدفع ستين · ولقد فقد رئيس الوزراء الكثير من أعصابه فى ذلك اليوم · وكان يقول لى بعد أن ضاق صدره من اصرارى وصمودى أمام تهديداته ، لاأدرى ماذا أعمل معك ·· ضابط كبير مثلك قد تصدر اليه الأوامر فجأة لمقاومة أى حركة ثورية ·· كيف يكون الوضع ·· وكيف نطلب من الانجليز الخروج · والوضع على هذا الحال · انكم تقولون اننى جبان ولكنى لست بجبان الا فى حالة واحدة فقط · وهى يوم يعتدى على انجليزى واحد حتى ولو كان مرتديا بنطلونا مقطعا ·

وكان رئيس الوزراء يقول فى ثورته : هل تريدون أن يحتل الانجليز القاهرة والاسكندرية · لقد وجدت فى قصر الملك مفرقعات· وأنا أود أن أعرف ما الذى نعمله اذا جرى حاجة للملك فان ظفر أصبع قدمه بالعائلة المالكة كلها ·

وبعد سبع ساعات وكنت قد خرجت من مكتبه ليقوم رئيس هيئة أركان حرب الجيش بمحاولة اقناعى بالاعتراف ثم طلبنى ابراهيم عبد الهادى مرة أخرى وقال : روح يا ابنى ·

وطلب منى الفريق عثمان المهدى أن يتوجه معى لاحضار الذخيرة الموجودة فى منزلى والتى حفظت فى خزانة مدير المكتب القائمقام عبد العزيز فتحى حتى استولينا يوم ٢٣ يوليو على رئاسة الجيش ووجدها عبد الحكيم عامر فى خزينة مدير مكتب رئيس هيئة أركان حرب الجيش ·

وانتهى التحقيق فى الساعة الثامنة . وتوجهت الى منزل عبد الحكيم فوجدته قد اتصل ببعض الضباط الأحرار الموجودين فى القاهرة . وكانوا مجتمعين به فى منزله . وكان هذا أول يوم لى فى الاجازة التى أخذتها من عملى فى الاسماعيلية . وكانت لمدة شهر .

وقد بدأنا فى وضع خطتنا فى ذلك اليوم . وفى نهاية الشهر كان شملنا قد اجتمع ورأينا أننا نحتاج الى خمس سنوات لتعبئة ضباط الجيش حتى نستطيع التخلص من النظام كله ، أى اننا كنا سنقوم بحركتنا فى عام ١٩٥٤ وليس فى عام ١٩٥٢ كما دفعتنا الظروف والحوادث الى التفكير فى تنفيذ الخطة .

وتعددت بعد ذلك اجتماعاتنا فى كل مكان وفى منازل متعددة .

• ونقلت فى شهر أغسطس الى القاهرة وبدأت فى شهر سبتمبر ١٩٤٩ فى التنظيم الجدى والخروج بالحركة الى نطاق واسع ، فبثثنا العيون فى كل مكان فى القصر ، وفى القيادة العامة للقوات المسلحة وفى البوليس السياسى ، وفى مختلف الأسلحة والوحدات ، وكانت هذه العيون تنقل الينا كل المعلومات التى تصل الى المسئولين فى ذلك الوقت عن حركة الضباط الأحرار .



قصة المنشورات

ورأينا أن ننشر آراءنا ودعوتنا بين صفوف الضباط على نطاق واسع عن طريق المنشورات السرية ٠

واشترينا آلة رونيوم لطبع المنشورات وآلة كاتبة وقام زملائنا من الضباط بشرائها ، وقد وضعنا هذه الآلة فى منزل أحد زملائنا لأنه كان متصفا بالمرح الذى يبعد عنه أى شبهة ، وبدأنا بطبع المنشورات فى داره بكوبرى القبة ٠

وصدر أول منشور للضباط الأحرار فى شهر نوفمبر ١٩٤٩ ، وقد تضمن تحليلا وسردا للحالة ولمأساة فلسطين ، وكان جمال واخوانه يقومون بتوزيع المنشورات على صناديق البريد ، وعلى فروع التوزيع فى الوحدات والأسلحة المختلفة ، وكانوا يطبعون فى المرة الواحدة الف منشور ، وكانوا يحصلون على حاجتهم من الورق والحبر من الجيش ، وكان توزيع المنشورات يتم بعضه بواسطة البريد والبعض الآخر باليد

ثم انتقل زميلنا من منزله فى القبة الى حى يكاد يكون غير معروف فيه ، فانتقل الى الجيزة ، واستمرت المطبعة فى عملها وفى منزله حتى بدأت الثورة فى ٢٣ يوليو ٠

وكان جمال وعبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى يوزعون هذه المنشورات باليد فى الجيش وكان البغدادى وحسن ابراهيم يقومون بالتوزيع فى الطيران ، ووزع عبد الحكيم عامر وصلاح سالم باليد فى فلسطين ، وقد قامت السلطات المختصة بضبط هذه المنشورات مرة واحدة فى البريد ، اذ انها شكت فى محتويات ظروفها التى كانت من مقاس واحد ، فغير جمال طريقة التوزيع بالبريد ٠

وكان لكل ضابط من الضباط الأحرار مهمته الخاصة ، فكان على البعض منهم مراقبة الضباط عند قراءتهم للمنشورات ونقل تعليقاتهم على ماجاء فيها وضم الأشخاص الذين يبدون تشجيعا للحركة بعد وضعهم تحت المراقبة ٠

جمال فى معركة القنال

استمر جمال يعمل بهمة مع اخوانه فى توسيع نطاق التنظيم ونشر الدعوة وتخير الممتازين حتى سنة ١٩٥٢ .

وكان الملك السابق يبدى اهتماما كبيرا بحركة الضباط الأحرار ، ويعمل للقضاء عليها ، وبدأ جمال واخوانه يرتبون أنفسهم للمعركة ليكونوا مستعدين فى أى وقت .

وفى اكتوبر ١٩٥١ أعلن رئيس الوزراء الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، وبدأت على اثر ذلك معركة القنال بين الفدائيين المصريين وبين الجنود الانجليز وكان موقف الوفد بصفته الحزب الحاكم مخزيا ..

وحمل جمال على أكتافه أكبر عبء فى أعمال الفدائيين ..

ان أحدا لم يكن يعرف هذا الدور الضخم الذى قام به دون اعلان او دعاية ..

ولكن الموقف تحول تحولا خطيرا حين حرقت الخيانة القاهرة (٢٦ يناير ١٩٥٢) ويصور السيد انور السادات هذه الفترة فيقول :مثلما كان حادث ٢٦ يناير مفاجاة كبيرة لنا فقد كان أيضا حافزا على ضرورة تحديد موعد الحركة بصورة نهائية ، ولأن وقوع هذا الحادث كان ايذانا ببدء عهد من النكبات والكوارث والارهاب الملكى فى البلاد ، وكان لابد بالطبع أن يوضع حد لهذا الجو الذى وجدت مصر فيه ، وكنا قد رتبنا انفسنا على أن نضع هذا الحد مهما كانت عواقب المخاطرة .

وقد تساءل كثيرون لماذا لم تستغل حوادث ٢٦ يناير وخاصة أن قوات الجيش كانت تحتل الشوارع ، وكان التجول ممنوعا بعد غروب الشمس ، ولكن جمال عبد الناصر يجيب على هذا السؤال بقوله : كان الوضع يستلزم المحافظة على الامن فى البلاد وكانت الظروف لا تحتمل حوادث جديدة .

المرحلة الفاصلة



وجاءت المرحلة الفاصلة ، ففى اول يوليو ١٩٥٢ قام جمال بالاجازة الثانية له بعد حرب فلسطين ، وتوجه الى الاسكندرية ، وكان الجهاز كله يعمل فى صمت وسكون فى القاهرة ..

وفى يوم ١٢ يوليو عاد الى القاهرة بعد أن اطمأن على قواته فى الاسكندرية ..

وفى ١٥ يوليو بدأت الحوادث والأخبار ترد الى جمال بعزل مجلس ادارة نادى ضباط الجيش فى داخل الجيش ، ثم الاتجاه بعد ذلك الى الشعب ، وباتجاه الطرف الآخر الى كبت الشعور القومى والتنكيل به

وكانت هذه هى اشارة الخطر .

يقول جمال عبد الناصر : « فاجتمعنا وقررنا أن نتخذ اجراءا مضادا وفى أقرب وقت ، فكان أمامنا خطتان ، الخطة الأولى أن يقوم الجهاز الخاص بالعمل باغتيال جميع الخونة المصريون ، والخطة الثانية كانت أن يقوم جميع الضباط الأحرار بالعمل لتغيير النظام بأجمعه .

وقررنا فى ١٨ يونيو تنفيذ الخطة الأولى ، بل لقد وضعت هذه الخطة فعلا موضع التنفيذ ، وصدرت الأوامر بتنفيذها فى القاهرة والأسكندرية يوم ٢٠ يوليو ... ولكن ...

اجتمعنا يوم ١٩ يوليو ، ووجدنا اننا بذلك قد نقضى على حركة الضباط جميعا ، اذ أن النظام سيبقى مهما قتل من أنصاره وستكون النتيجة حملة من الارهاب فى الجيش وبين أفراد الشعب ، وسيكون الضرر الذى يحل بالبلاد كبيرا .

ولذلك قررنا الغاء الخطة الأولى ، وتنفيذ الخطة الثانية وكلف عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وأنا بوضع الخطة التنفيذية .

وصدرت الأوامر للضباط الأحرار بعدم ترك منازلهم من الساعة الثالثة بعد الظهر الى السادسة يوميا ، واستدعينا من فى خارج القاهرة بالاجازة للعودة اليها للاستعداد .

وفى يوم ٢٢ يوليو اجتمعت اللجنة التأسيسية لأخذ الأوامر النهائية ، وتم اصدار الأوامر فى الساعة الخامسة ... وخرج أفراد اللجنة التأسيسية للتنفيذ » ..

٢٣ يوليو ١٩٥٢

يروى عبد الحكيم عامر قصة الساعات الفاصلة فى تاريخ الثورة :

«نحن فى أوائل يوليو ١٩٥٢ والوزارة وزارة السيد حسين سرى ، وموجات السخط تجتاح النفوس ، وتزداد وطأتها كلما قامت وزارة وراحت أخرى بسرعة مجنونة يحرك خيوطها ملك مجنون وعصبة فاجرة ، وجاءنى جمال عبد الناصر ، وحسبتها زيارة عادية ، لكن كان لهامابعدها فلا شىء وراء جمال عبد الناصر الا الحسم .

سألنى : هل سمعت بأمر الملك الخاص باغلاق نادى الضباط ؟

وأجبت : نعم ..

وصمت جمال قليلا ، الا أنه كان بادى التفكير ، كمن قد اتخذ بينه وبين نفسه قرارا معينا .

ثم عاد وسألنى : ايه رأيك .. أن حل مجلس ادارة نادى الضباط معناه أن الضباط سيصابون بهزيمة معنوية ينتج عنها تفكك رابطتهم وقوتهم ...

واتبع كلامه بقوله : وحسين سرى عامر اذا أصر الملك على تعيينه وزيرا للحربية فمعنى ذلك أن أى ضابط ، فيه رمق حيتبهدل » ..

وتكلمت وأنا اعتقد أن كلامى سيطابق القرار الذى اتخذه بينه وبين نفسه ..

وقلت : مفيش حل الا أن الحركة تتعمل ..

فقال : أنا فعلا وصلت الى هذا القرار .

وتصافحنا ٠٠ وأصبحنا منذ هذه اللحظة داخل خط النار ، لاخارجه كما كنا منذ دقائق ، ووجدنا أنفسنا فى المعمعة نجد ونكد ونسهر وننام (ان نمنا) بعين واحدة ، والأخرى تراقب الاحتمالات والمفاجآت التى تحملها لنا الليالى ٠٠ واتفقنا على اتخاذ اجراءات واسعة للاتصـــال بالضباط الموجودين خارج القاهرة والموجودين بها ، وكثير منهم كانوا بالاجازات ، وأخذ البكباشى جمال على عاتقه أن يتصل بالضبـــاط الموجودين بالقاهرة أساسا ٠

كان لابد أن أتصرف فى حكاية الاجازة التى انتهت ، حتى استطيع البقاء فى القاهرة ، فذهبت الى المستشفى العسكرى وقلت « عيان » فقالوا « لا مش عيان ٠٠ ولازم ترجع وحدتك ٠٠ باللا على رفح » ٠٠: ولكنى قلت للأطباء « هو العيان يتقال له (لا) كده ، مش تكشفوا عليه الأول » فسابونى ومسألوش فيه ، وغبت عن المستشفى أسبوعا كاملا بلا أجازة ، قمت فيه بمهمتى من حيث الاعداد والتنظيم والاتصال ٠٠٠ ودخلنا فى اللحظات الحرجة ، ووضعت أكثر من خطـــة على أساس تقديرين اثنين لاثالث لهما ، اما أن نقوم بعمل كامل لتنفيذ الحركة ، واما أن يقسم الضباط أنفسهم الى (٣٠ تيم) بأسلحة كاملة من الجيش ، وفى ساعة الصفر تخرج هذه الجماعات وتخلص البلد من السياسيين الخونة وعملائهم وتنظف البلد تنظيفا شاملا ٠

ثم اقتربت الساعة الحاسمة ، وكنا قد انتهينا من احصاء قوتنا ، والتعرف على امكانياتنا ، فرأينا أن الأساس الأول : وهو القيـــام بحركة كاملة هو الأساس الأمثل ، واتخذنا هذا القرار ، ذلك لأن التدبير الثانى فيه ضرر ، وهو أننا مهما خلصنا البلاد من المفسدين ، فان أذنابهم لاتنتهى ٠٠ وهنا رأينا أيضا أن (تقدير الموقف) الذى حسبناه بعد عودتنا من فلسطين ، قد طابق الواقع تماما ، انه فى خلال أدنى مدة ـ وهى ٣ سنوات ـ استطعنا تجهيز قوتنا تماما ، ولقـــد ساعدتنا الظروف السياسية القلقة من ناحية وتذمر الضباط الشديد من تصرف الخونة فى مصير الجيش وأنظمته وكرامته على أن ننفـــذ خطتنا فى سنة ١٩٥٢ ٠٠٠ »

ليلة ٢٣ يوليو



خرج جمال من بيته ليلة ٢٣ يوليو على انه قد لايعود ، لقد أحس بأن اللحظة الفاصلة التى لاسبيل الى تجـــاوزها قد جاءت ، لقد بلغ التحدى بين القصر والضباط الأحرار أقصى مـــداه ، وكان لابد من ارتطام ، ووصلت الأمور الى الدرجة التى لا يمكن الصبر عليها •

كانت مصر تنتظر جمال ••

وكان جمال يدخر نفسه واخوانه لمصر ويترقب الفرصة •

وجاءت هذه الفرصة فى صورة انتخابات نادى الضـــباط وماتلاها من تحد بين الملك وبين الضباط الأحرار وكان لابد من عمل •

« •• لقد كان القصر فى تلك الأيام لايزال شــــاكا فى قدرتنا على القيام بحركة كاملة ، ولكنه كان يريد أن يبطش بنا استعادة لمكانته التى رأى انها اهتزت اهتزازا شديدا •

وقطع الطريق علينا لأنه كان يعتقد أننا وان كنـــا أضعف من أن نقوم بحركة كاملة فنحن على كل حال نستطيع أن يكون التمهيد للحركة الكاملة ، لذلك كان يريد أن يفتك بنا ، وكان يدبر لهذا الفتك فى نفس الوقت الذى كنا نحن قد فرغنا تماما من وضع الخطة الحاسمة للفتك به وبعرشه وحكم أسرته للبلاد » •

وفى الليلتين الحاسمتين بعد أن تحدد الموعد بدا جو الثورة يأخـــذ طابعا رهيبا •••

وهذا قائد الثورة يرسم هذه اللوحة الخالدة :

« كنا نجتمع فى بيوت مختلفة ليقول كل لأخيه حقيقة مايشعر به ومايحسه ، وقد اخترنا أن نضع رءوسنا فوق أكفنا لتستقر عليها ، وهى تقدم على هذا الخطر الجسيم والمغامرة التاريخية .

وكان لكل منا زوجة واولاد واسرة ومسئوليات ، كان لابد لنا من أن نفكر فيهما ونحن مقدمون على هذه المغامرة ، وكان السؤال الخافت الذى تسرب الى قلوبنا هو : ماذا لو فشلنا وانتصر علينا المجرمون ؟

ولكن الروح التى اقبلنا بها على المعركة ، والدم الذى كان يغلى فى عروقنا ، والقوة التى اظهرتها لنا الوحدة والكفاح الذى عززته التضحية قد جعل هذا السؤال الهامس يخفت ويخفت حتى يتلاشى . وأقبلنا على المعركة وليست لنا فكرة تراودنا سوى مصر وشعب مصر وجيش مصر : اما الحياة واما الموت .. واما الأولاد وأما الأمهات والأشقاء فلم يتسع لهم فى حركتنا مكان ، وأصبح مكانهم الداخلى بين صفوف ملايين الشعب التى نقوم على التضحية من أجل سعادتها وحياتها ..

كنا مؤمنين بحقيقة ثابتة هى ان الشعب معنا وان كتل الجماهير ستقف حائلا بين خططنا وجواسيس المجرمين ، واننا لو فقدنا الفرصة اليوم فاننا سنكسبها غدا .

وكان هذا هو ما يشجعنا ... »

ليلة ٢٣ يوليو

وقد سجل جمال عبد الناصر المواقف الحرجة التى صادفته ليلة ٢٣ يوليو فقال :

مرت بى مواقف حرجة كثيرة ، ولكن احرجها كانت ليلة الثورة ، كان موعد تحرك القوات الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ٢٢ يوليو ، وكان موعد احتلال رئاسة الجيش فى الساعة الواحدة والنصف حيث تتقابل القوات كلها عند رئاسة الجيش لاحتلالها ، وفى الساعة الحادية عشرة علمت أن رئاسة الجيش أحيطت خبرا بخطتنا ، لأن أحد الضباط المشتركين فى الحركة ، عندما مر الضباط لأخذه معهم فطن أخوه الى أن هناك حركة ما ، فحاول منع أخيه الذى رفض أن يستمع اليه ، وقد ذهب هذا الأخ المانع فى اشتراك أخيه الى سراى القبة ،

وأخبر الضابط النوبتجى بالأمر ، الذى قام بابلاغ سراى المنتزه حيث كان يقيم الملك السابق ، فصدرت الأوامر للفريق حسين فريد رئيس هيئة أركان الحرب لاتخاذ الاجراءات المضادة لمناهضة حركتنا والقضاء عليها ، وذهب الفريق حسين فريد الى رئاسة الجيش بكوبرى القبة ، واستدعى اليه جميع قادة الجيش لوضع الخطة وتنفيذها فورا .. وقد وصلتنى هذه الأنباء الساعة ١١ وأنا بدارى ، بعد أن عدت وقد أعد كل شىء للتنفيذ ، وكان كل الضباط فى أماكنهم استعدادا للبدء ، ولم أجد أمامى ازاء ما اتخذ لاحباط حركتنا سوى اعتقال رئيس أركان حرب الجيش وجميع ضباط الجيش المجتمعين معه قبل انفضاض مؤتمرهم وتنفيذ خططهم :

لقد توجهت الى منزل أخى عبد الحكيم عامر ، حيث كنا على موعد لنتقابل فى الساعة الثانية عشرة ولنتوجه معا لأخذ قوة لتنفيذ فكرة الاعتقال ، غادرنا المنزل الى قشلاق العباسية ، ولكننا وجدنا عددا كبيرا من البوليس الحربى رابضا على باب القشلاق ، وهذا لم يكن ضمن خطتنا ففهمنا فورا أن الطرف الآخر قد بدأ العمل ، فتحركنا الى سلاح الفرسان ، ولكننا وجدنا البوابة مغلقة وعليها قوات لم نستطع أن نعرف مع أى طرف تعمل هذه القوات ، معنا أو مع الطرف الآخر ، فقررنا التوجه الى الماظه لاحضار قوة من هناك ، وفى طريقنا الى الماظه ـ عند ميدان الكربه ـ رأينا على مدى البصر أضواء عربات كثيرة فى طريقها الى القاهرة ، وكانت الساعة حوالى منتصف الواحدة ولم يكن هذا أيضا ضمن خطة قواتنا ، ولقد كان المقرر أن تتحرك قواتنا فى الساعة الواحدة واخذنا نفكر ونقدر الموقف جيدا ، ونتساءل هل هذه العربات من قواتنا أم أنها تابعة لخطة رئيس هيئة أركان حرب الجيش التى بدأت فى التنفيذ ، ولكننا تأكدنا انه من المستحيل أن يكون رئيس هيئة أركان حرب الجيش قد بدأ تنفيذ خطته . ورجحنا انه لابد وأن يكون أحد زملائنا الضباط المشتركين معنا قد اخذته الحماسة فخرج قبل موعده ، وانتظرنا على جانب الطريق ، حتى تصل الينا هذه القوات ، وفوجئنا عند وصول أول عربة بأن الفرقة الثانية قد تحركت لتنفيذ خطة رئيس اركان حرب الجيش ، وفى أسرع من لمح البصر كنت وعبد الحكيم عامر محاطين بخمسة ضباط ملازمين مسلحين بالتومى جن وطلبوا الينا ان نرفع أيدينا وأن نثبت فى مكاننا ، وكانت أحرج لحظة فى حياتى كلها فعلا ، لقد اعتقدت أن الخطة التى وضعناها ورتبناها قد باءت بالفشل الذريع .

وبعد لحظة وجدت احد اخواننا ينادينى من العربة الثالثة ويقول فى فرح زائد « لقد أسرنا قائد الفرقة وقائد ثانى الفرقة وأنا مع قوتى ،

ولقد أحضرت معى جميع العربات التى قابلتها فى الطريق » ، ونزل من العربة وحضر الى قائلا ان القوة التى معه هى ٨٠ جنديا فقط لأن باقى الفرقة فى فلسطين ، وعرفت فى هذه اللحظة فقط انه تحرك فى الساعة ١٢ بدلا من الواحدة ••• ولم يكن أمامنا غير حل واحد فقط ، هو احتلال رياسة الجيش بهذه القوة التى معنا ، وتحركنا الى الرئاسة بكوبرى القبة ، وبدأنا عملياتنا بمحاصرتها فى الساعة الواحدة الا عشر دقائق أى قبل الموعد المحدد بأربعين دقيقة •

وبدىء فى توزيع القوة ، وقام عبد الحكيم عامر وضباط الكتيبة الشجعان وثلاثون جنديا فقط بمهاجمة رياسة الجيش ، ولكن الباب الحديدى كان مغلقا ، وكانت عساكر رئاسة الجيش محتلة مواقعها وبدأت تطلق علينا النار ، واستمرت المعركة ٤٠ دقيقة ، وفى هذه الأثناء كانت قوات الفرسان قد بدأت فعلا فى التحرك من أماكنها وفى الساعة الواحدة والنصف سقط فى أيدينا مبنى رئاسة الجيش واعتقلنا كل من فيه ، وكان هذا العمل أول بادرة النجاح »

ثم أصبح ٢٣ يوليو فأذيع أول بيان للثورة ، وتنفس الشعب وأحس بأن الضياء قد بدا وأن الفجر قد طلع •

وقال جمال : ان روح الشعب فى ذلك اليوم أمدتنا بالقوة والعزم فلم نكن نتوقع هذا النجاح الغريب السريع ،فمضينا أقوياء أمناء نعرف مواضعنا من الشعب الكريم ومن قلوب أبنائه المظلومين •

لقد كان أول عرض فى العاصمة أحد الدوافع التى دفعت حركتنا دفعا الى الأمام ، ولقد وجدنا أن ملايين المصريين جميعا معنا ، فتطورت وسائلنا لتحقيق أهدافنا ، واندفعت خطواتنا سريعة مفاجئة حتى انتهت بعزل الملك الفاسد •••»

وبهذا نجح جمال عبد الناصر واستطاع أن يغير التاريخ ••

دور الطليعة



وكانت ثورة بيضاء ، أخرجت فاروق ، وبدأت تتجه الى الشعب ، والى الزعماء ، لم يكن جمال يطمع فى الحكم والسلطان ، كان يريد أن يضرب للشعب مثلا رائعا فى انكار الذات ، هو تسليم البلاد للمدنيين فى اللحظة التى يفرغ فيها من عمله الكبير ، ويكتفى هو واخوانه بأنهم قد حرروا مصر من حكم أسرة محمد على •

لقد كان القرار الذى اتخذه جمال واخوانه هو أن الجيش لا يحكم ، وانما يقوم بالثورة ثم يسلم البلاد للمدنيين ، وكانوا فى ذلك مثلا أعلى من الاخلاص والتفاؤل •

يقول انور السادات « •• كان قرارنا فيما يتعلق بالثورة أن ينفرد الجيش بكل شىء ، فقد قام جمال باتصالات كافية مع جميع الهيئات التى كان يمكن أن تكون عاملا مساعدا فى الثورة واذا بالنتيجة الوحيدة التى نخرج بها هى أن الجيش يجب أن يتحمل وحده جميع أعباء التنفيذ ، لأن جميع الهيئات التى اتصل بها قد أثبتت أنها غير جديرة بالثورة ولا مستعدة لعمل شىء •• »

وبقى علينا أن تفكر فيما بعد الثورة ، فيما يخلف التنفيذ .. ماذا نصـــــنع ؟

هل نحكم ؟ هل نسلم الأمر للشعب يصرفه كيف يشاء . ومن الذى يتحمل مسئولية الحكم عندما يترك الأمر للشعب .. ريثما يختـــار الشعب ممثليه ، وأى السياسيين جدير بقيادة البلاد بعد الثورة ؟

وهكذا ... دراسة طويلة خرجنا منها بنتيجة واحـــدة هى : أن الجيش لايحكم وانما يقوم بالثورة ، ثم يسلم البلاد للمدنيين فى اللحظة التى يفرغ فيها من عمله الكبير .

هذا هو القرار الذى استرحنا له ، وشعرنا حياله بالعزة الـكاملة وروعة المثل الأعلى ... أليست ثورة على الأوضاع كلها ، فماذا كان الطابع المميز للأوضاع القديمة .. كان شيئا واحدا ظاهرا : الجهاد فى سبيل الحكم لا الجهاد فى سبيل المثل الأعلى .

ولذلك رأينا أن نضرب للشعب مثلا جديدا .

لم يكن أحد يترك الحكم مختارا ، فأردنا أن نتركه مختـــارين ، أن نتركه والشعب يدمى أيديه تصفيقا لنا ، وقد حققنا الأمنية الأولى لـكل مصرى عاش فى خلال القرن الاخير ، امنية الخلاص من حكم أسرة محمد على ومن ملوك أسرة محمد على .

وكم كنا طيبين بسطاء ، وكم كنا متفائلين ، لقد قدرنا كل شىء من أعمالنا العسكرية فأحسنا التقدير ، ولم نخطىء مرة واحدة ، ولـكننا قدرنا فى هذه المرة فاخفقنا واخطأنا وغلب علينا التفـــاؤل على ادراك حقيقـــة الواقع .

كنا نريد أن نغلب الواقع الكريه على أمره ، كنا نريد أن ننتصر على كل شىء ، حتى على خبث النفوس .

ولكن أخيرا وضح لنا أن المستحيل له وجود وأن نابليون لم يكن على حق أبدا ... » .

لقد كانت مهمة جمال شاقة بعد الثورة ، أشق من الثورة نفسها ، كان رجال الأحزاب يحسبون أن مصر استبدلت ملـكا بملوك ، وأن العجلة ستجرى على ذلك النحو الذى كانت تجرى عليه ، وبات من العسير أن يفهم هؤلاء أن الثورة شىء جديد يغير كل شىء ..

ولكن جمال كان يقظا ، لم تخدعه فرحة النجاح ولم تصور له أن الآمال قد تحققت وأن الربيع قد جاء ، بل لعل العكس هو الصحيح ، كانت كل دقيقة تحمل انتصارا للثورة تحمل اليه فى نفس الوقت عبئا ضخما ثقيلا تلقيه بلا مبالاة فوق كتفيه ..

يقول : لقد كنت اتصور قبل ٢٣ يوليو أن الأمة كلهـــا متحفزة متأهبة ، وانها لا تنتظر الا طليعة تقتحم أمامها السور ، فتنـدفع وراءها صفوفا متراصة منتظمة تزحف زحفا مقدسا الى الهدف الأكبر

وكنت أتصور دورنا على انه دور طليعة الفدائيين ، وكنت أظن ان دورنا لن يستغرق اكثر من بضع ساعات ويأتي بعدنا الزحف المقدس للصفوف المتراصة المنتظمة الى الهدف الكبير » •

ولكن مع الأسف ، عندما جاءت هذه الجموع كانت أشياعا متفرقة وأحس جمال ساعتها بأن مهمة الطليعة لم تنته •• بل انها بدأت ••

وعندما اجتمع جمال برجال السياسة تكشفت له المساوىء القديمة على حقيقتها فسمع مساومات ومحاورات ومداورات كانت كلها ترمي الى الوصول الى الحكم . كل حزب يلعن الحزب الآخر ، وكل جماعة تتهم الجماعة الأخرى ••

ولم يوافق البعض على تحديد الملكية والاصلاح الزراعي وقال ان هذا المشروع سيخرب البلد ، ولن يقدر أحد على الفلاحين بعد ذلك وانه اذا تيقظ الفلاح وتبصر فلا يمكن استغلاله ولا يمكن أن يبقى للحاكم سلطة ، ولو فهم الفلاح انه فرد يتساوى مع جميع المواطنين ، وله من الحقوق ما للجميع فلا سادة ولاعبيد ، لو فهم هذا لما تمكن السادة من الابقاء على مصالحهم وسيادتهم •

وقالوا لجمال في صراحة أنهم لايوافقون على تحديد الملكية لأن أصحاب الأرض وأصحاب الأملاك هم الوفد •

يقول جمال : « **عندئذ أيقنا أن اعادة الحياة الديمقراطية على هذا الأسلوب معناه بقاء الشر القديم ، وتحققنا انه لابد من بذل جهود ضخمة وخطوات منظمة لتحقيق الحياة الديمقراطية المبرأة من مساوىء الماضي التي كانت تجعل المصالح الشخصية في المقام الأول ، بل هي كل شيء •• عندئذ بدأنا في العمل بلا تردد فحددنا الملكية ، وكان تحديدها خطوة لتحرير عبيد الأرض الذين يمثلون الأغلبية الساحقة في الأمة ليصبحوا أحرارا قادرين على أداء واجبهم نحو هذا الوطن » •**

ومضت الثورة دون أن تحفل بالرجعية ، تشق طريقها في قوة والشعب كله من حولها ، الا فريق من النفعيين والرجعيين ، وكان في هذه الثورة قوة وفيها عقل ورزانة وأعصاب مضبوطة ، فعاشت ثورة بيضاء لم تلوث بالدم •

وكان وراء هذا الثبات والثقة **جمال عبد الناصر** الذى استطاع أن يملك ناصية انكار الذات فعاش خلف المسرح يوجه ويرقب الأمور في يقظة واناة •

وبدت خطوات الثورة تحمل طابع التطور الطبيعي ، لاطفرة ، ولا مصادمة لنواميس الكون ، ولا تعقيد ، وانتقال من مرحلة الى أخرى على قدر استعداد الشعب على صورة كانت تبعث الثقة بأن معاني الثورة وأدوارها واضحة ناصعة في نفس قائدها ، فيها عزيمته وفيها ضبط

انه لم يكن يضرب ضربته الجديدة الا بعد أن يحس بأن النفوس قد تهيأت لاستقبال مرحلة جديدة ، فبدت الثورة عقلية شرعية كيسة ، وبدا عليها صورة الاتجاه الطبيعي القوى ، تتفاهم الثورة مع رجال الاحزاب وتعطيهم الفرصة ، وتفسح لهم من الوقت ما يكفى لو أرادوا أن يكونوا حكماء ، وتفسح المجال لدراسة تحديد الملكية حتى ليخيل للمراقب البعيد أنها تتراخى ، ثم تأخذ هذا الأمر وذاك فى حزم وقوة وتصميم.. وحق لمثل هذه الثورة العاقلة الرزينة المتئدة ألا تتخبط وألا تخطىء ... ولكن هل تركها الرجعيون تمضى فى طريقها ؟

لقد حاولوا أن يحطموا الثورة ، بوسائلهم القديمة واساليبهم الرجعية فى محاولات يائسة ، كأنما ظنوا أن الثورة حزب من الأحزاب قد ولى الحكم فأرادوا اسقاطه ليلى الحكم حزب آخر .. وكانوا فى ذلك من المخدوعين

وصمد جمال وقال ان هذه الثورة قد رفعت رأسها ولن تحنيه من جديد .. وأن الشعب الذى تيقظ من نومه الطويل عرف حقوقه وعرف طبيعة الأرض التى يقف عليها ، وعرف من الذين استغلوه باسم الحرية والديمقراطية ، ومن الذين يتاجرون باسم الحق الذى يراد به باطل واذا كان الشعب قبل الثورة كان يعمل حسابا للجيش ويعلم انه ضده فقد تغير الآن كل شىء وعرف الشعب أن الجيش معه وهو لذلك لن يسمح بعودة الوجوه القديمة الكالحة تمثل المأساة على المسرح .

وقال : لو تشكك الشعب فله العذر لأنه عاش طول عمره يرى الحاكمين يخادعونه ويظفرون بثقته ثم يعملون ضدها .

ودفع جمال غيره الى المسرح وبقى هو وراء الحواجز يرقبها ، لم يكن يطمع فى أن يظهر أو يحكم ، كان يكفيه أن يحقق آماله ، وأن يرى الثورة تندفع الى الأمام ..

وأنكر ذاته فى سبيل مصر ..

وبدأ على ماهر يحكم ، ولكن الأيام القليلة التى أمضاها فى الحكم كادت تنسى الشعب أن هناك ثورة .. وكان من المستحيل أن يصلح رجل سياسى من المدرسة القديمة ليقود عجلة ثورة ـ ولم يكن من اليسير أن يجرى بنفس القوة والحيوية التى تتطلبها العجلة الضخمة المندفعة الى الأمام ..

وبين السياسة البطيئة الملتوية وبين الثورة الصريحة الواضحة .. برزخ كبير ...

وكان لابد أن تأخذ الثورة مداها ..

وقال جمال : لقد تيقظ المارد الجبار وعرف انه يحكم لأول مرة فى تاريخه بأبنائه ، عرف وتأكد أن المستقبل لن يتاح لأعوان الملكية والاستعمار ، ان رجال اليوم ـ اخوانكم وأبنائكم ـ لن يفرطوا فى حق من حقوقكم وأن الثورة قامت دفاعا عن حريتكم وكرامتكم المسلوبة .

وقال : لقد خلصناكم من الملوك الصغار حينما حددنا الملكية

وقال : ان الملكية والرجعية والاستعمار هم الأعداء الثلاثة الذين تحالفوا ضد الشعب ..

وقال الناس بعد شهور : ماذا عملت الثورة أكثر من أنها خلعت الملك وحددت الملكية ... ورد عليهم جمال فقال : **هل قضينا على آثار الشقاء الذى أورثه لنا ذلك الماضى القريب والبعيد ؟ لا .. ان مفاسد السنين الطويلة لا يمكن اجتثاثها فى شهور معدودة ، وان المهمة على أكتافنا وفى أعناقكم شاقة تستوجب منا جميعا ان نعمل ..**

وكانت الثورة رفيقة بالرجعية ، لم ترفع لها المشانق كما فعل أتاتورك ، ولم تفتح المعتقلات كما فعل هتلر ، ولم تسحق الأنوف كما فعل فرانكو ..

وانما أعطت رجال العهد البائد فرصه أخرى بعد أن حلت الأحزاب وقال جمال :

ان الماضى لن يعود ثانية ، هذا الماضى الذى كان استبدادا سياسيا وظلما اجتماعيا ، ومتاجرة فى الوطنية وسعيا وراء الجاه والسلطان فلن نفسح المجال بعد اليوم الا للمبادىء وحدها وخدمة الشعب ومصالحه .

ولم يرتدع رجال العهد البائد ، وظنوا أن الثورة عاجزة عن ردهم فمضوا يحيكون مؤامرة كبرى .. وهنا وقف جمال وقفة الأسد يزأر وقال :

ان عجلة الثورة ستستمر فى تقدمها محطمة فى طريقها كل خائن وكل خائر ، ولن تعرف الثورة بعد اليوم الا الصرامة والقسوة لكل من تحدثه نفسه بالوقوف فى طريقها او تزييف الحقائق على هذا الشعب البرىء الذى يجب أن يفرق بين الحق لذاته والحق الذى يراد به الباطل

يجب ان تحافظ الثورة على قوتها حتى تتحقق اهدافها ، ان هذه الثورة لن تتخلى عن مكانها حتى يتحقق هدفها الأكبر وهو القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين ، ومهما طال الأمد فهى معركة واحدة بدأناها ولن نعرف فيها زمانا ولا مكانا حتى تتطهر البلاد من المستعمرين والخونة المارقين .

وكانت الثورة رغم محكمة الثورة رفيقة رحيمة ، ثورة فيها عقل وفيها أناة .

انها لم تقدم من قدمت من السياسيين القدامى الى محكمة الثورة الا بعد أن أعطتهم الفرصة تلو الفرصة لتجعلهم يسيروا مع العجلة الدائرة ولم يكن ذلك يسيرا بالنسبة لهم فان العقلية القديمة التى طبعت على الرجعية والجمود والعبودية للملكية الظالمة والخوف المتأصل من السادة الانجليز ، وقف عقبة دون تطورهم مع الزمن .

ولم تطلق الثورة يدها فى حكم مطلق كما فعل الثوار فى كل مكان .

ولم تضرب خصومها ضربات قاتلة وقد كانت ـ ولا زالت ـ تستطيع ، وأسرعت فأعلنت أنها تهيء الناس للحرية وتعدهم لحياة نيابية نظيفة في المستقبل القريب ..

ولم تكن احكامها بالصورة التى عرفت فى محاكم الثورات عنفا وقسوة .

ومضى البناء قويا ، كان كل يوم بعام .. ورفعت مصر عن كاهلها ذلك الذى كانوا يسمونه الروتين .. وأكد جمال فى كل خطبة وفى كل مناسبة أن كل وضع استثنائى سيزول وانه يعد البلاد لحكم ديمقراطى سليم :

« انها مرحلة تنتهى معها الاجراءات الاستثنائية التى كان لابد أن تصاحب الدور الأول للثورة ، الدور الذى كان عليها فيه أن تؤمن نفسها ، وحين اقول تؤمن نفسها فاني اعنى الأهداف ولا اعنى الأشخاص ، الأهداف التى كنت أريد تأمينها هى الأهداف التى قامت من أجلها الثورة ، والتى قامت من اجلها كل ثورة فى التاريخ الانسانى وهى أن يحكم الوطن بواسطة أبنائه من اجل ابنائه ، بعقل وعدل ، وأنا لايعنينى أن أؤمن الأشخاص فانا أرى أن لاقيمة للأشخاص الا بالمبادىء التى يحملونها فى قلوبهم .

ولو كانت المسألة أن أؤمن شخصى او شخص زميل من زملائى بواسطة اجراء استثنائى لكان الأمر سهلا ولكان أبسط مافيه أن نؤثر العافية ، وأن نبقى فى مناصبنا التى كنا فيها قبل ٢٣ يوليو ، ولانتهجنا بعد ٢٣ يوليو سياسة أخرى فيها نقتسم الغنائم مع الذين يقتسمونها أو نسير على الطريق الذى كانوا يسيرون فيه ، وماكان أسهل أن نخدع أو نضلل ، ونأخذ مع ذلك تصفيق الناس ورضاءهم .. » .

وهذه نقطة حساسة هامة فى تاريخ جمال . فلو كان يريد أن يكون ملكا لاستطاع ولأرضى تلك الطغمة من تجار السياسة ..

ولكنه أراد الطريق الأشق ، وحمل نفسه على الجادة المضنية ، ورضى لنفسه بذات الشوكة ، ولم يقبل الثراء اليسير والطريق القريب للمجد الفردى ، لقد باع جمال واخوانه نفوسهم فى سبيل مصر فى ليلة ٢٣ يوليو ، فلما انتصروا أصروا على أن يبيعوها دائما وكل ليلة ..

عقل الثورة



ابتسامة الجـــلاء

بدأت الثورة عاطفة خالصة ، فرح الشعب بابطاله الذين حرروه من الملك المستهتر ، وفرح الفلاح بعودة أرضه اليه ••• وصفق الجمهور طويلا لالغاء الملكية واعلان الجمهورية

ولكن لم تكن العاطفة هي كل شيء على طول الخط ، فان للثورة تبعات فكان لابد أن تنقل الشعب من وضع الى وضع ، من جو الاستهانة والنفعية والفردية والسلبية ، الى جو الايجاب والعمل والانتاج والقدرة على تحمل التبعات

كان لابد أن تمحو من النفوس تلك الصـــورة التى طبعها العهد الماضي فى النفوس،صورة الامعة الذى يقول مع الناس ويميل مع الناس دون أن يكون له رأى أو شخصية •

وكانت هذه مهمة جمال ، خلق نفسية جديدة للمصرى الجديد بعـــد الثورة ••

وهذه هى عمد النفسية الجديدة منقولة من كلمـــاته

● اننا نتجه الى ثورة سياسية وفى نفس الوقت الى ثورة اجتماعية ولن تتحقق هذه الثورة السياسية وهذه الثورة الاجتماعية الا اذا تغيرت طريقتنا فى التفكير ، وبدأنا عهدا جديدا مبنيا على حرية الفكر

ونتلخص أيضـــا من الاستعمار الفكرى ، ولن ننجح الا اذا نظرنا الى المجموع على أنه الدعامة الأساسية لهذا الوطن ولن نتمكن الا اذا عملنا عملا قويا فى بناء الجماعة .

● نحن نؤمن ايمانا عميقا بالفرد ونؤمن أيضا فى نفس الوقت أن الوطن لن يكون قويا الا اذا كان الفرد قويا ونؤمن أن واجبنا يحتم علينا أن نعمل على تقوية الفرد حتى يصل الى تقوية الوطن فى جميع الميـــــادين .

● هدفنا الأكبر أن يتساوى كل فرد مع أخيه فى الحقوق ، وأن يشعر كل فرد أن هذا البلد بلده لا عبيد ولا أسياد ، نريد أن يشعر كل مواطن أنه حر فى تفكيره ، حر فى عرق جبينه لايتحكم فيه آخرون يشترونه ويتحكمون فى مستقبله .

● ان هذه الثورة تهدف الى العدل والمساواة وتمكين جميع المواطنين من الفرص المتساوية لكسب الرزق الحلال ، وتيسير لقمة العيش لهم وهذا لايتأتى الا بمضاعفة ثروة بلادنا ، ونحن فى سبيل تحقيق هذه الأهداف كان لابد من هدم الفساد والملكية والأحزاب التى احتكرت المنفعة الذاتية لنفسها ، وكان لابد أن نتخلص من أعوان الاستعمار الذين تاجروا بوطنيتكم من أجل مصالحهم الشخصية .

● اننا عازمون على تطهير منزلنا وتقوية أنفسنا كمجتمع حر بعد أن حرمنا سنوات طويلة تلك المعونة وتلك الحرية نتيجة لترك شئوننـا فى أيدى دخلاء يتصرفون فيها ويعبثون بها :

● « اقتصدوا فى عواطفكم »
نطالب المواطنين بالمعرفة وتعمق الأمور حتى لايتمكن أعداؤنا من خديعتنا مرة أخرى ، وان هذه الأمة التى صمدت للمتـــاعب والآلام أربعمائة سنة لهى أمة عريقة .

● اننا نعمل على تطهير مظاهر الحياة والنفوس من النفعية والاستغلال وارجاس الماضى التركى والانجليزى ، ورواسب التعفن السياسى جميعا ونبدأ بناء الشخصية المصرية من جديد دون عودة الى التدشـــير بالأشخاص دون المبادئ حتى لا تميع ثورتنا كما ميع السياسيون ثورة ١٩١٩ ، وأنا أعلن أننى شخصيا زائل أما الاهداف والآمال فهى الباقيـــة .

● أعلنها صريحة أن هذه الثورة هدفها الأول هو الديمقراطية لأننا نؤمن بارادة الشعب وقوته ولكن لن تكون للشعب قوة ولن تكون له ارادة الا اذا أحس بالديمقراطية .

● لقد استبد بنا التواكل مدة طويلة لأن آثار السياط على ظهورنا لاتزال تؤثر فى نفوسنا وقلوبنا ولاتزال تتفاعل مع شعورنا ومشاعرنا

ان الاستعمار التركى والاستعمار الانجليزى أوجدا فينا فئة من الطغاة ، وفئة من المستسلمين ، فاذا أردنا أن نحقق أهدافنا فيجب أن نتخلص من الطغيان ونتخلص من الاستسلام .

● اننا أيها المواطنون لم نفكر لحظة واحدة فى الديكتاتورية لأننا لم نؤمن بها أبدا فهى تسلب الشعب ارادته وقوته .

● اذا تسلحنا بالمعرفة أمكن أن نتلافى خداعا كثيرا ونعلم من هو المخادع ومن هو الصادق فنطالبكم بالتعمق فى الامور والمعرفة .

● ان الاربعمائة سنة الاخيرة كانت سنين شدادا على آبائنا وأجدادنا لان هذا البلد كان يحكم لغير صالح أبنائه بل لصالح الغزاة .

● ان المبادىء السليمة لابد أن تنتصر مهما كانت المصاعب التى امامها ويكون النجاح قريبا وسهلا اذا أحس كل فرد من أفراد الوطن بقيمته كفرد فى المجموع وأحس فى نفس الوقت بقيمة الآخرين

● ان ثورتكم هذه وأن اتشحت بالرداء العسكرى الا أنها ثورة اخلاقيه تهدف الى تقويم مافاتنا وخلق المواطن الصالح ، ولا شك أن أول خطوة فى سبيل خلق المواطن الصالح هو منحه الحرية فى ابداء رأيه

● اذا اردنا أن نحافظ على العزة والقوة فلا بد أن نحرر الحقل من كل آثار الماضى البغيض وأن نتجه الى سياسة جديدة تبدأ من النشء وبهذا يمكن أن ننشىء وطنا كريما يتمتع فيه المواطنون بالعدل والمساواة

● أننا نحتاج الى العمل والجهد والعزيمة حتى نحقق العزة التى ننادى بها ، أننا نحتاج الى العمل والى الجهد ، والى كل فرد لنسير فى الطريق الشاق الذى لم نقطع منه شيئا ، فاننا مازلنا نمهد فيه ونعده ليكون الطريق الى العزة والكرامة .

● لسنا موظفين ولكننا أصحاب رسالة ، نموت ونحن نكافح من اجلها . لقد قمنا بثورتنا يوم ٢٣ يوليو ونحن نعرف أننا قد نموت ، ولكننا أثرنا الموت والتضحية من أجلها ، ولكن الله لم يرض أن يتخلى عنا ونصرنا اكراما لكم وللزمن الطويل الذى كابدتم فيه ألوانا من الظلم والارهاق

● أطالبكم ياشباب بأن تكونوا واعين أقوياء تحكمون العقل وتحكمون الفكر .

● أننا لم نعمل حتى الآن عملا يذكر ، بل أننا حتى الآن نمهد الطريق لنراه طريقا مستقيما يوصلنا الى الحرية والكرامة والعزة .

● أن ثورتنا فى ٢٣ يوليو ليست الا نقطة الابتداء دفنا فيها الماضى ليخرج المستقبل الى النور والمستقبل وديعة فى أيدينا وأمانة فى أعناقنا

● اجدد العهد على أن نكون لكم وبكم ، أن نكون لكم خداما يعملون لوطنكم ، ويسهرون من أجل أولادكم ، ويشقون فى سبيل مجدكم ، وأن نكون خداما صغارا ان طمعوا ففى شرف الخدمة ، وان زاحموا ففى

سبيل العمل الصالح متأسين بقول خاتم الرسل والنبيين : اللهــــم احيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين ٠

● لقد نسي بعضنا الماضي ونسي ماكنا نكابده فيه ، وهذا النسيان أخطر علينا من أعدائنا فان اعدائنا نعرفهم ، ومظهــرهم وحده يحفزنا الى دوام اليقظة ، أما النسيان فيسلمنا الى الاسترخاء والاستسلام ٠

● أريد منكم أن تحاسبونا على الملايين والجنيهات ، وأن تقيســـوا أعمالنا بالامتار والاطنان والارطال فنحن نبني ونقيم ، نحن نؤســـس ونوسع ونرمم ، وهذا كله عمل شاق يحتاج الى معونتكم وايمانـــكم ، ولسنا نود أن نشتري ثقتكم الغالية وتعاونكم المنشــود بثمن بخس ، وانما نريد أن ندفع فيه عرقا يتصبب من الجبين ، وسهرا مرا ، وعملا متصلا ، ونحن ندفع هذا الثمن راضية به قلوبنا طيبة نفوسنا لاننـــا نعرف أن من ورائه مجدا لهذه الأمة وعظمة لهذا الشعب وكرامة لهــذا الوطن الذي نفتديه بالمهج والارواح ٠

● ماجئنا اليوم نلهب العواطف ونثير الغرائز ولكنا جئنا هنا لنلتقي بكم ولنتحدث الى عقولكم لانريد أن نلهب العواطف فطالما سمعنا هتافا طالما هللنـــــا فماذا كانت النتيجة ٠ أننا نطالبكم بالنظام لنســـير متمسكين بالوعي حتى نحقق الاهداف تاركين الهتاف بالاسماء

● استطعنا أن نقضي على الاستبداد السياسي الذي اشاعه حفنة من المضللين ٠

استطعنا أن نقضي على الاستبداد السياسي ونحن نهدف بهــذا الى حياة سياسية سليمة واستطعنا أن نحرر الغالبية العظمى لهذا الوطن

● أن نزعات آثمة وافكارا شريرة ومذاهب مدمرة تزحف اليــوم الى عقولنا وقلوبنا من بلاد قريبة أو بلاد بعيدة لتحطم في نفوســنا الايمان بالمثل الانسانية الرفيعة وتخدعنا عن حقيقة وجودنا الروحاني في هذه البقعة من العالم التي خصها الله برسالاته وانبيائه وجعل أهلهـــا رواد الحق والخير والجمال والفضيلة للبشرية كلها ٠

● ان هذا الشعب الذي كافح السنين الطويلة قد خلق حرا ليعيش حرا ولن يقبل في يوم من الأيام أن يكون عبدا ٠

نعم أن آبائنا واجدادنا قد ثاروا في الماضي وكافحوا ولم يظفـــروا بنتيجة ثورتهم ويجب أن نتعلم من ظروفهـــم وأن نتبصر أمورنا وأن نتبين طريقنا وأن نتخلص من الاخطاء ونجتاز الصعاب التي صادفتهم

وأننا لنعلم يقينا أن هذا الشعب قد استعبدته فئة طالما ابتزت منه الرزق ، ومنعت عنه لقمة العيش وهذه الفئة مستعدة لاســتعباده مرة أخرى متى سنحت الفرصة ٠

ولكننا اذا تبصرنا أمورنا ونظرنا الى المـــاضي وأخذنا منه العبرة وانتفعنا بدروسه بهذا فقط نستطيع تحقيق أهداف ثورتنا وهي القضاء

على الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي والاستعمار البريطاني
أحب أن أؤكد لكم أن الطريق التي نسير فيها لنتخلص من هـــذه المآسي شاقة وطويلة ولكن بالايمان والصبر والتعاون ســـنتمكن من هـــذا كله ٠

● الصبر والعزم والوعى لايمكن الرجعيين أن يعودوا بنا الى الوراء ، ان الرجعية والحزبية يتربصان بكم الدوائر فتسلحوا بالروح العالية حتى لايتمكن اعوان الاستعمار أن يرفعوا رؤوسهم من الجحور ٠

● بدأنا نؤمن بضرورة التخلص من الفردية ومن القضاء على هذه المعانى البغيضة التى عمل الاستعمار على تأصيلها فينا وبدأنا نؤمن بالقوة وبذلك شعرنا اننا فى طريقنا الى التخلص من كل الرواسب القديمة التى تركناها وراء ظهورنا فاننا سننشىء مصر العظيمة التى يشعر كل فرد منها بالعزة والكرامة ٠

● انى اطالبكم بالا تطمئنوا مطلقا لأن الاطمئنان قد يبعدنا عن هدفنا فان الجهاد يشعر بالاطمئنان ولذلك لانتحـــرك ، ونحن فى هذه الظروف المحيطة بنا يجب ألا نشعربالاطمئنان لأننا لانستطيع ان نخيف احدا الا اذا عرفنا الخوف وعرفنا كيف نخيف اعدائنا ٠

● لقد قضت الثورة على الرجعية والاستبداد ونفوذ راس المال ، وعلينا أن لانسمح بهذه المآسى أن تعود وان نتعمق فى كل شىء حتى لاتخدع مرة أخرى ونمسى ونصبح فاذا ثورتنا زوبعة مرت بمصر يوم ٢٣ يوليو ثم انقضت دون ان تترك جذورا ثابتة أو أثارا نافعة

● نحن شعب قوى ينقصنا أن نصحح شخصيتنا ، ماأحوجنا الى التخلص من روح الطغيان والاستبداد ، وهـــذا يتطلب منا كفاحا طويلا مريرا يقوم على أسس من ادراك الواجب وانكار الذات ٠

● أن فى هذا الشعب فئة من الناس أشد خطرا عليـــه من ألد اعدائه هى الفئة التى خلقت الطغاة السابقين ، فان الطغـــاة الذين ظهروا فى بلادنا فى الماضى لم يستمرءوا الطغيان ، ولم يتشبثوا به الا لأن بعض الناس أغروهم عليه ويسروا لهم سبله ٠

● ان الثورة تريد من الشـــباب العمل اليقظ والتطلـــع الى المستقبل ورقابة الزعماء والحاكمين وحسابهم أن أخطأوا أو ضلوا ومنحهم الثقة بهم أن أحسنوا وساروا فى الطريق المستقيم ٠

● ان الجيش هو عنوان شرف الأمة وهو قبضتها التى تضرب بها المهاجين وتلوح بها فى وجه المتربصين ، وهو آخر الأمر خلاصة ماقى الشعب من قوة وثروة وعلم واخـــلاق ، فلن يكون فى أمة ضـــعيفة جيش قوى ولن يكون جيش ضعيف فى أمة قوية

● أن مستقبل الشعوب لايبنى على التمنى وانما يقوم على القوة والعلم والاغتصاب ، والله لم يخلصنا عبثا او ارتجالا أو مصادفة ، انما جئنا الى الدنيا نحمل رسالة الجندى والقائد المصـــلح والمؤمن

القوى الامين .

● ان مبادىء الثورة تتركز فى أن يتمتع شعب مصر بحياة ديمقراطية صحيحة بدلا من الدكتاتورية البرلمانية التى عانى منها سنوات طوالا ، ونحن الآن مازلنا نبث مبادىء الديمقراطية فى الشعب ولما نتعد بعد فترة الانتقال .

● اذا استطعنا أن نخلق هذا الجيل من الشباب القوى الوطنى المؤمن بنفسه ووطنه جاز لنا أن نطمئن الى أن هذه البلاد لن تنتكس أو تعود الى الوراء

وماكان الاستباق وراء العواطف الا الطريق الى الخداع والضلال وكم خدع الشعب فى الماضى لأن حكام البلاد كانوا يستغلون عواطفه ويخدعونه .



النظرة الفاحصة !!

جمال القائد



جمال عبد الناصر قائد الثورة ، ورأس هذا التنظيم الدقيق الذى خرج صبيحة ٢٣ يوليو والذى حول مصر من الملكية الى الجمهورية ومن الاقطاع الى تحرير الارض والفلاح • والرجل الذى استطاع فى خلال ثلاثة أعوام أن يصنع مصر الحديثة وان يقطع بالبلاد ما يمكن ان يساوى مائة عام من عمر أى وطن متحضر

ما هى شخصية هذا القائد وما هى سرائره النفسية • وما هى العوامل الفعالة التى كونته وامدته بهذه العاطفة المؤمنة وهذه الطبيعة القوية الفعالة •

لقد كانت مصر تحلم من زمن بعيد برجل يحررها • ويرد اليها كرامتها • ويخلصها من استعباد القصر والساسة المحترفين والاقطاعيين • تلك أزمة قديمة عاشت فى ضمير مصر عمرا

كانت مصر تنتظر رجلا • بل لاأغالى اذا قلت أن انتظارها قد طال • وانها بدأت تمل وكادت أن تشك فى أن الكنانة تستطيع ان تخرج هذا الرجل الذى تنتظره •

وكانت تتساءل فى ضميرها من يكون هذا الرجل ؟

أهو من ذلك الصنف الذى شهدته سنة ١٩٢٠ ، من الذين تربوا فى أحضان كرومر وأكلوا على موائد فؤاد . المحامون الذين أثروا من « القضية » المصرية . الذين تكالبوا على الحكم وشغفوا به فأنساهم حقوق البلاد والكفاح فى سبيلها .

لقد كرهت مصر هذا الصنف . ونفرت من هؤلاء الذين عاشوا ينحنون لساكنى قصر عابدين ، ويقفون تحت العلم البريطانى يستعرضون الجيش البريطانى .

أهو من أبناء البيوتات وخريجى القصور والاقطاعيين الذين كان الشعب يظن أنهم لثروتهم لايمدون يدهم ليأكلوا مال الشعب فاذا هم أشد طمعا وظلما من غيرهم ؟

الحق أن مصر كانت ترقب فى أمل ... ولكنها تشيح بوجهها، مشفقة من ان يكون قد فاتها القطار فقد كان الظلم يبدو كل يوم وهو يوطد مركزه . ولكن الاحرار كانوا فى نفس الوقت يتأهبون لموقعة فاصلة وليوم أغر ..

لقد كانت مصر فى حاجة الى حاكم من صميم الشعب . من أبناء الطبقة الفقيرة ، نشأ فى كنف الاسرة المصرية . ورأى الفقر والجوع . وأحس متاعب الدنيا وذاق مرارتها . وشاهد بنفسه ولمس بيده . وصكت سمعه صيحات المظلومين وأنات المرضى .

كانت مصر فى حاجة الى رجل من هذا الطراز ..

لقد عاش أولئك الحكام فى أبراج عاجية وغرف دافئة لاتصل اليهم صيحات ولا أنات ولا يحسون باحساسنا ولا يشعرون بآلامنا . ولدوا فى مهاد الترف . وتلقفهم الاستعمار منذ اليوم الاول فأقام بينهم وبين روح الشعب واحاسيسه حجابا صفيقا . كان الواحد منهم اذا لمست يده ، يد مصرى ، أسرع الى زجاجة الكولونيا ليتطهر خوفا من أن ينتقل اليه المرض ..

كانت مصر فى حاجة الى رجل قوى العارضة ينزل الى الميدان فيزلزل الدنيا ويحطم الاصنام ويرفع الرمال السافية عن المجرى ويعبد الطريق الذى ظل مسدودا . ويدك الصخور وينسف الجنادل ..

وهذا هو ماتحقق على أروع صورة فى **جمال عبد الناصر** ..

لقد نشأ جمال فى البيئة التى عاش فيها كل أبناء الطبقة المتوسطة والفقيرة . وهو ابن عائلة كادحة فى سبيل العيش . وقد اشترك فى جميع حركات الاصلاح . وعاش قريبا من تاريخ مصر الفعلى . منذ أكثر من خمسة عشرة سنة . لقد حاول أن يشارك فى القضاء على الفساد بكل أسلوب .. فلما أحس بأن الفساد أكبر من أن يعالج ، صمم على سحقه واجتثاث جذوره من تربة مصر .

اتصل بالساسة والاحزاب • وأيقن أن أسلوبهم لاينفع وطريقهم لايؤدى •• وتأكد له أن القوة وحدها هى التى تحرر البـــلاد • وأن وطنا ما لم يستطع أن يتحرر الا بالقوة •• بالســـلاح •. بالحرب •• فكان طبيعيا أن يجد طريقه الى الجيش • وفى الجيش وجد بيئة أشد سوءا من بيئة رجالالاحزاب وحكام‌مصر ، بيئة اللواءات الطغاةالذين يسيطرون على الضباط ويذلونهم ويحطموا من نفوســـهم كل روح معنوية وكل كرامه ••

ولكن جمال كان صـــنفا جديدا من الضباط •• كان من أولئك المرفوعى الهامات والرءوس الذين لايذلون ولا ينحنون ولا يخضعون •

كان ايمانه بربه يملأ نفسه فيحول بينه وبين الخضوع لغيره •••
واغضب هذا السادة الكبار ومن هنا بدأ بينه وبينهم صراع طويل • استمسك فيه جمال بالحق وثبت للعاصفة

وفى فلسطين تعلم الدرس الاكبر • جاهد وقاتل • وجرح وأصابته رصاصات العدو ونام بين الخنادق والمدافع تضرب ضرباتها الضخمة يحلم بمجد مصر ••• ورأى اخوانه يسقطون صرعى بمدافع تنطلق الى الوراء • وبنادق تنفجر فى وجوه أصحابها •

كانوا العوبة فى يد الذين كانوا يحكمون مصر ويلهون فى الكباريهات وهكذا صاغت فلسطين الثورة فى قلب الثائر الاول • وكان لابد من انتقام الله على يديه لأرواح الشهداء ••

كان الشعب يترقب القائد • كان متعطشا الى روح جديدة تخلصه من الفساد والخيانة ولم يكن الشعب يستطيع وحده أن يعمل شيئا • وأية قوة شعبية فى البلد لم يكن من اليسير أن تحصـــل على ماحصل الجيش عليه من ظفر •

كان الشعب يبحث عن الضوء • عن الفجر • عن الصباح ••
من أين يطلع • وكان مطلعه من قلب الفئة التى طالما خوف فاروق بها الشعب ••• من قلب الجيش •

كان الشعب ممزقا الى جماعات وأحزاب وفرق تتصارع وتتناحر وكان فى حاجه الى من يجمعه ويوحد بينه • كان فى حاجة الى لواء منصوب لايدع قوة شعبية دون أن يحتضنها • ولم يكن من الممكن أن تتمثل هذه القوة الا فى رجل واحد ، هو الثائر الأول **جمال عبد الناصر**

اجمع المؤرخون وعلماء النفس على أن القيادة هبه واكتساب • وانها تولد مع الشخص • طبيعة فى ذات نفسه • كما أنها تكتسب بالمرانة والتجربة • وقيادة الامم كالحرب • علم وفن • وهى جماع روح القائد وهواتف نفسه ومزاجه • وخلاصـــة خبرته وتجاربه وايمانه بوطنه واحساسة بمسئوليته عن الرعية •

وقد اجمع الثقاة والخبراء بفن القيادة على أن الصورة المثلى للقائد تجمع فى اهابه الشجاعة والحزم والصراحة والخشونة والغيرة على الشرف

والنجدة والنخوة والنظام والطاعة وتقدير الواجب والايمان بالحق
والجندية بطبيعتها لها تقاليدها التى تقوم على الشجاعة والنخوة والغيرة على الشرف وتتنافى مع الكذب والرياء والنفاق • ولعل فى شرف الجندية الذى يتخذ من المثل « الموت ولا العار » ناموساً لايحيد عنه مايعطى صورة القائد النابع من محيط الجيش •

وتعطى الجندية القائد قوة عجيبة ، تجعله محبا لمهنته عارفا بمشاقها ومسئولياتها متجاوبا من أعماق نفسه ، مستعدا للعمل فى أية لحظة تحت وطأة اى ظرف •

ومعترك الحرب هو المعلم الاول الذى تتلمذ عليه بونابرت فقاد جيشا كاملا ثم قاد أمة ••• والاسكندر الذى كسب معركة (ارابلا) وهو فى الخامسة والعشرين وبايار الذى قضى حياته الطويلة فى حروب متتابعة •

قال مارشال فايول أن كبار قواد الجيش والامم كانوا أساتذة فى المدرسة الحربيه مثل فوش وبيتان

فالاستاذ الذى ظل سنوات عديدة مع تلاميذه يقوم بحل مشاكل الحرب كثيرة التنوع والاختلاف لايمكن أن تراه مرتبكا فى ساحة المعركة اذ يخرج الحل من دماغه تام الاعداد •

وكان من عوامل قوة المارشال ويفل وروميل وبيتان انهم قاموا بالتدريس فى المدارس الحربية •

وقالوا أن القيادة الناجحة هى التى تتسم بعقلية عملية •

ويقول مارشال ويفل أن القائد الناجح يجب أن يكون على خلق ، أنه يعرف مايريده ثم تكون له من الشجاعة وقوة العزيمة مايمكنه من تحقيق أهدافه •

والحق أن القائد فى حاجة لكل فضيلة بشرية ، ولكن هناك صفات خاصة اكدها القادة العظام واتفقوا على ضرورتها فى مقدمتها (الارادة)

يجب أن يعرف القائد كيف يتخذ قرارا وكيف يتحمل مسئوليته • وقد كان نابليون يقول « ان الثبات يذلل كل صعب » والقائد المحنك هو الذى يجمع المعلومات ويقدر الموقف قبل أن يحزم أمره • فمتى أستقر على رأيه وجب أن يظل ثابتا عليه ، فليس أكثر تثبيطا للهمم من التردد ، والثبات على الجهد هى الصفة المكملة للارادة ، وهى نوع من الصبر المطلوب من القائد

لقد وصفوا العبقرية بأنها نتاج جهد عظيم • وأن تسعين فى المائة منها جهد وعرق

و (الشجاعة الفطرية) وهذه فضيلة لايصاحبها الرياء والخبث • وهى أول دوافع الهجوم • كما انها الصفة التى تعبر بصاحبها معترك العنف والمفاجأة وقد كان فولتير يمتدح فى « مارلبورو » تلك « الشجاعة

الهادئة وسط الاخطار الماحقة • والهدوء النفساني فى غمرة الويل • ويعتبرها السبب الاول فى نجاح ذلك القائد الكبير الذى يعتبره «يفل» أعظم قائد فى التاريخ •

و (الكتمان) فضيلة من ألزم لوازم القائد • وقد كان « ريشلو » يصفها بأنها روح الاعمال • أنه لايكسب الهيبة شيء كالصمت • فان الكلام يوهن الفكرة فتتبدد الشخصيه بينما يتطلب العمل التركيز • وكان عظماء القادة لايتكلمون ، ولم يكن هناك من يضارع نابليون فى صمته •

و (الصلابة) صفه ملازمة للقواد • يرى المارشال يفل انك اذا بحثت عن أسباب اخفاق عد كبير من القادة فسوف تجد أن أهم هذه الاسباب جميعا هى افتقارهم الى الصلابة •

قد اشتهر عن المارشال جوفر أنه كان يأبى على نفسه الاستسلام لعواطفه حتى لقد شكا بعض أصدقائه من صلابته : لكن هذه الصلابة هى التى مهدت السبيل لانقاذ قوات الحلفاء من أوربا •

وكان خالد بن الوليد مشهورا بالصلابه • ان خير القواد من كان شديدا لاتهزه كارثة ولا توهن عزمه مفاجئة •

هذه هى المعالم الرئيسيه لشخصيه « القائد » كما عرفه رجال الحرب والساسة فى بطولات العالم ••• وهى نفس الصفات التى ترى واضحه فى شخصية جمال عبد الناصر فقد كان جمال أستاذا فى المدرسة الحربيه شأنه شـــان كبار قادة الامم والجيوش ، وأمدته الدراسة فى هذه المدرسة بالقوة على مواجهه المفاجئات • وجعلته مستعدا للعمل فى أيه لحظة تحت وطأة أى ظرف جديد •

وعرف عن جمال الارادة فهو يتخذ القرار ويثبت فى وجه الصعاب التى تقوم من ورائه • لانه قد درس كل احتمال قبل أن يتخذ قراره وقدر الموقف قبل أن يحدد موقفه • ولذلك فانه متى استقر على رأى ظل ثابتا عليه مؤمنا بأن الثبات يذلل كل صعب •

وفى جمال تلك الشجاعه الفطرية والثبات على الجهد وذلك الصمت والقدرة على عدم الاستسلام للعواطف والكتمان والشجاعة الهادئة وسط الاخطار

وقد عرف جمال بالذكاء الذى ييسر للقائد باللمحة السريعة تعرف سبل القيـــادة ونزعات الافراد • والثقـــة بالنفس وقوة الارادة والشجاعة هى من صفاته الاصيلة •

وعرف بالنزاهة التى فرضت عليه أن يجعل صالح الجماعة قبلته لاينحرف عنها الى غرض خاص •

وعرف بسعة الصدر وضـــبط النفس وهما يهيئان للقائد القدرة على احتمال النقد وعلى الثبات أمام النزعات الجامحة والاهواء المتفرقة

وعرف بالاستعداد للتضحية وانكار الذات والفناء فى الجماعة • فقد احتجب وراء الظلال طويلا ليعمل فى صمت ويوجه الثورة فى أناة وصبر
وعرف باستقامة المسلك والعدالة فى الحكم على الاشياء •
وعرف بالنشاط الذى لايفتر • والعزم الذى لاينى ولاينثنى • والدأب الذى لاتنقطع أوصاله ،والتمرس بفهم نفسية الجماعةونزعات أفرادها فهما صحيحا • كما عرف بقوة الاقناع وسلامة التوجيه مع التجافى عن الاستبداد بالرأى وفرض الارادة على الغير •

وجمال عبد الناصر الشاب الذى يتقدم نحو الاربعين بخطوات ثابتة• العسكرى ذى القامة المديدة والقوام الرياضى قد وهب بطبيعته مكان القيادة وأفادته خبراته وتجاربه وقراءاته المتعددة هذا السمت وهذا الطابع من الخلق الذى لايتوفر الا للقليل ••
فهو مؤمن بالكفاح • يزداد ايمانه كل يوم قوة • وهو من أولئك الذين لايرضون بأنصاف الحلول • ويصر على أن يظفر بحقه الكامل • وهو لايرتجل أبدا • يدرس كل شىء فى أناة • ويستخلص نتائجه مجردة وله من اختباره وأدراكه لدقائق الحياة مايجعله يحرص على أن يضع قدمه متى قدر موضع خطواته • من أجل ذلك احترمه كل من عرفه وأشتاق الى معرفته من لم يعرفه •
وتعلم جمال فى مدرسة الوطنية الشىء الكثير • تعلم أن حق الشعب لايضيع مهما طال عليه الامد • وأن ليل الظلم قصير وان طال • كما آمن بأن مصير الطغاة الى زوال •

وبالرغم من أن جمال عبد الناصر هو الرجل الاول فى ثورة مصر فانه لم يتحدث عن نفسه • ان هذه هى لغة الماضى ، لغة المهرجين ، هذه اللغة التى كانت مألوفة قبل الثورة ، وانما ترك الحوادث نفسها تتكلم
وقد أخاف الانجليز كماأخافهم واشنطون وديفاليرا وغاندى • وهو من معارضى الشيوعية وعدو لدود للاستعمار •

وقد وصفه من رآه من المراقبين السياسيين الاجانب بأنه روح مجلس الثورة وعقله • وأنه وطنى متعصب شديد النزاهة لايبالى بنفع شخصى • وانه عميق التفكير • وتفسر آراءه السياسية فى الغرب بأنه من الشعبة اليمينية المحافظة وأنه رجل نزيه وذكى وواقعى • وصموت مهذب • يحسن الاستماع ويجيده ويؤثره على الكلام • وليس صمته صمت الابكم • وانما صمت الرجل الذى يفكر كثيراً ويؤثر أن يمحص مايفكر فيه فيما بينه وبين نفسه •
والوفاء صفة من صفاته • فهو لايعرف الغدر ولا يتربص بالناس الدوائر وهو قوى فى مواجهة الاحداث والناس ومواجهة نفسه •

وأبرز مظاهر قوته أنه لايحرص على أن يبدو قويا أبدا • لم يفر من حمل التبعات ليلقيها على أكتاف غيره ويكتفي بموقف المحاسب الدقيق ••

حاول أول أمره أن يدفع غيره ، وهو الذى جهز القتيل وأشعله ، ولكنه اكتشف أن هذا ليس هو الطريق ورأى أن الثورة لاتخطو الى الامام فحمل اللواء • وهو لايصنع لأهله ولا لذويه شيئا

وتعد سيطرة جمال على عواطفه واعصابه مظهر آخر من مظاهر قوته الخارقة • فهو لاينفعل رضا ولا ينفعل سخطا • وقد مكنته الاحداث من أن يقود اعصابه ولم يسمح لهذه الاعصاب أن تقوده قط • وهو سريع الخاطر فى مواجهة مايظن أنه يحدث • وفيه صراحة لاتستطيع أن تخفى الطيبة المستترة •

وقد تحدث عن نفسه مرة فقال « انهم يقولون اننى الثعلب الماكر • فاستغربت هذا التفكير الذى تحيط به العاطفة المجردة من العقل • وقلت أن البلاد كانت تحتـــاج الى رجل يتقدم ويقود حركتها • ولا تصدق أن يكون مثل هذا الرجل عبيطا » ••

وهذا حق فان الرجل اليقظ هو الذى استطاع ان يرغم خصوم مصر على احترامه والتسليم له ••• وقـــد عجز عشرات من الذين سبقوه أن يحققوا بعض ماحقق ••

وجمال يؤمن بأن أحداث الماضى ورواسبه ما زالت كامنة فى أعماقنا وانها قد ضيعت الثقة من نفوســـنا فتحكمت فينا الفردية والانانية ولذلك فهو لايلبث أن يصرخ فينا صرخته « ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستبداد »

وقد وصف جمال يوما بالصرامة على انها قسوة فقال « ان هناك فرقا بين الصرامة والقسوة ، فالصرامة هى الجد • وليس كل جاد قاسيا • كما أن ليس كل قاس جادا • والانسان الذى لايعرف كيف يحب لايعرف كيف يكره • وما أنا الا انســـان تحس نفسه بمختلف المشاعر الانسانية •

وهو فى كل أحاديثه واقواله يؤكد فى أنفسنا هذه المعانى • معانى الخروج من الماضى ويرسم صورته الجادة وصراحته الواضحة فى كل كلمة :

« لم اقل لكم أنناحققنا اهداف الوطن بل قلت أن الثورة قد حققت جزءا كثيرا من أهداف الوطن ولاتزال الطريق طويلة جـدا ، لن نضللكم ولن نخدعكم ، لاحاول أن أشعل الامل أو أثير العواطف ، أن الهتاف لايحقق رجاء ولا يربى أمة •

وهو يقول : انه لم يحدث أنخاب له امل ، فقد التزم فى حياته ألا يطمع فى المحال • وأن يسعى الى هدفه عن طريق مستقيم معتمدا على ربه •• « ولهذا لم يخذلنى الله أبدا » ••

وهو قد عرف الموت طويلا وعاش فى التجربة .. العاشرة بل المائة بل الالف . « فقد واجهت رصاص اسرائيل شهورا طويلة . وأنا أنتقل بين الفالوجة وعراق المنشيه . وكان طريقى فى تلك الايام هدفا دائما لرصاصهم وقنابلهم . كنت أقطع اميـــالا طويلة . وأنا أرافق الانفجارات واداري الالغام . كان الموت ســـميرى وملازمى وصديق أيامى . وقد عرفته ورايته وعشت معه .. »

وقد آمن جمال عبد الناصر بالجندية . وعرف أن للقائد الذى يتصدر أمته واجبا واحدا هو أن يموت فى سبيل وطنه ؛ فاذا ماوهب حياته لوطنه هانت عليه الصعاب ... ولم يعد يخاف شيئا .

وقد صور هذا المعنى فى حديثه مع بعض كبار الصحفيين الاجانب فقال :

ان مثلنا الاعلى فى الكفاح هو الايمان والصبر . فكل مؤمن بفكرة صالحه يستطيع أن يصبر على المـــكاره وأن يقطع الطريق المحفوف بالشوك . بعزيمة لاتقهرها عزيمة . لـكى يحقق فكرته ويهزم الصعاب وقد صبرنا حتى حققنا لبلادنا ماتريده من عزة وكرامة ..

وليس جمال عبد الناصر بالرجل الخيـــالى فانه من ذلك الصنف الذى تجده دائما على استعداد لأن يناقش ويسمع ، وليس بالمصلح الاجتماعى لان عزمه القوى على تغيير مايجب أن يتغـــير يخرجه عن دائرة المصلحين الاجتماعيين . ولعل أقرب وصف له انه صاحب مبدأ وصاحب رسالة يؤمن بها ويعمـــل على تحقيقها . وهو أشبه بثوار البيوريتان فى القرن السابع عشر الذين حنقـــوا على فساد الدولة وصمموا على تطهير المجتمع . وهو على حد تعبير كرومويل أن الرجل العسكرى الجاد أكثر أمانة وشرفا من أحسن السياسيين .

صراحة جمال



يلتقى جمال عبد الناصر منذ قام بالثورة بعشرات من الشخصيات جاءوا من أقصى أنحاء العالم ليشاهدوا هذا العمــلاق الذى حطم الملكية وقضى على الاقطاع واطلع الفجر فى مصر .

ومامن صحفى أو كاتب أو رجل من أهل الرأى رأى جمال عبدالناصر الا وعجب بالقوة الساحرة التى تكمن فى شخصيته وهو يتحــدث مفرقا بين (الانقــلاب) الذى يهــدف الى التخلص من وضــع قائم وبين (الثورة) التى لاتكتفى بالتلويح بنظام قائم . وانما تريد أن تبنى محله نظاما آخر يستهدف تحقيق العداله الاجتماعية للمواطنين ورفع مستواهم

ما من واحد من هؤلاء الا وقد وصف عبــاراته بالدقة وتفكــيره بالواقعيه وقال أنه زعيم اشتراكى عاشق للديمقراطية الاجتماعية كافر بالاقطاع مؤمن بأنه يستطيع أن يبنى شعبا مصريا جديدا . يكون كل فرد فيه سيدا لاعبدا .

وقال جمال عبد الناصر للصحفيين الذين زاروا مصر وفودا متوالية

من مختلف أنحاء العالم ان سر خلافنا مع الساسة تصميمنا أن نقضى على الاقطاع فقد رفض هؤلاء الساســة أن يتسلموا الحكم على أساس تنفيذ سياسة الثورة

ووصف هذا المعنى الذى هو لب الثورة بأن الهدف هو تحرير الفرد المصرى المستضعف الذى يشعر وهو بين يدى الاقطاعى أنه عبد أمام سيده « لأن اعتقادنا أنه مالم يملك المواطن المحروم أرضا فلا يمكن أن يشعر بروابط مادية تشده الى وطنه ليدافع عنه وينهض به •

وقال جمال عبد الناصر للصحفى الامريكى الذى سأله عن قصــة الاحرار كلاما بسيطا ولكنه عميق ، قال : ان قصتنا قصيرة جدا • فقد أشفقنا على بلادنا من مظاهر التحلل والفساد الذى كنا نلمسه ولا نستطيع له علاجا فقررنا ـ نحن الضباط الاحرار ـ أن نعمل عملا ايجابيا لننقذ وطننا الحبيب • فوفقنا الله وسدد خطانا •

وقال نهرو •• ان عبد الناصر رجل من الشعب • ولهذا نجح فى أن يحقق هذا النصر الكبير للشعب • ولمصر أن تطمئن وأن تستقر مادام رجلا من الشعب ساهرا عليها •

وقال أحد الصحفيين الاجانب فى وصف جـــمال بعد لقاء طويل أن لجمال عبد الناصر صفتين لايستغنى عندهما قائد ثورة : فهو حاسم قاطع فى تنفيذ أفكاره التى يؤمن بها وهو كسائر من يكافحون يؤمن بمبدأ القوة • وأن نظراته تنم عن الثبات

وهذه صور من لقـــاء طويل بين جـــمال عبد الناصر ومجموعة من الصحفيين الذين زارو مصر فى الشتاء الماضى

« ••• رأيت جمال عبد الناصر فرأيت زهد الحاكم فى المال والمنصب والجاه • ورأيته يسكن شقة متواضعة قيل لى أن ايجارها لايزيد على ثمانيه جنيهات مصرية فى الشهر • كنــا قد اجتمعنا فى داره • بيت متواضع وأثاث عادى • ليس فيه ترف ونفس هادئة ناعمة • تبتسم دائما • وتترقرق صافية دائما •

استقبلنا كما يستقبل أى انسان أصدقاءه • وكان يحمل المقاعد من غرفة المائدة الى غرفة الاستقبال ليجلس عليها من لم يكن له مقعد »

وحين جلسنا جميعا • احتار هو أين يجلس • ولـكنه وجد أخيرا مكانا حينما أفسح له بعضنا مكانا فجلس ورحب • وقدم لفائف التبغ وتحدث • وصمت حين جاءت القهوة • ثم استأنف حديثــه • ولم يكتم شيئا • ولم يلتو فى سرده • بل كان مؤمنا بكل كلمة يقولها • وكان مخلصا فى كل دقائق قصته • ولم يفت أحد منـــــا • ان جمال عبد الناصر يتمتع بشخصية قوية • كنا مجمعين على هذا • وكنا مؤمنين بأن الرجل صادق • وأنه يفتح قلبه على مصراعيه •

وقال جمال عبد الناصر : أنا أعرف أن توزيع الاراضى على الفلاحين

وعلى أفراد الشعب لن يكون كاملا • اننا لن نرضى أكثر من ٤ آلاف عائلة ولدينا اثنان وعشرون مليونا ولكن هذا التوزيع سيكون نواة المستقبل •

يجب أن يشعر الفرد بأنه يملك ولو شبرا من أرض بلاده • ويجب أن يأمل غيره بأن يملك في المستقبل مثل ما يملك هو • ليشعر بأن عليه واجبا نحو بلاده •

ويجيب جمال عبد الناصر على السؤال الذى جعل منه بعضهم قميص عثمان :

أنا لست دكتاتورا • ولا أريد الدكتاتورية • لقد دعا مجلس الثورة الاحزاب غداة الثورة الى تحمل المسئولية فأبت الا أن تسير على الطريق الذى اعتادت السير عليها • انها تريد أن تفعل الخير عن طريق الشر ، وما كانت طريق الخير فى أى يوم من الايام سوى الخير نفسه ، انهم يتحدثون عن الديمقراطية فهل الديمقراطية فى بقاء الجهل • وهل الديمقراطية فى بقاء الاقطاع • وهل الديمقراطية فى بقاء الفقر •

كيف يمكن أن نكون ديمقراطيين ونحن نستعبد ملايين الفلاحين • وكيف يمكن أن نكون ديمقراطيين ونحن لانعرف للعامل حقا ونحرص على أن نملك حق طرده فى أى يوم وفى أية ساعة •

لقد كنا فى الماضى نحكم ديمقراطيا • كان لنا ملك • وكان لنا مجلس نواب ومجلس شيوخ • فهل هذه هى الديمقراطية التى نريدها • هل نعود الى ماكنا عليه ، وفيم كانت الثورة أذن •

أما كان فى وسعى أن أقيم حكماديمقراطيا نيابيا على الاسس القديمة نفسها • أو حتى على افضل منها • أما كان فى وسعى أن اجمع مجلسا نيابيا لمجلس الثورة فيه أغلبية كبرى • ولكننى لاأحب هذه الاساليب

ان للثورة مبدأ مقررا • هو أن تحرر الفرد المصرى من كل عبودية وحتى تطمئن الثورة ، الى أن الفرد المصرى قد تحرر فعلا • وأنه أصبح قادرا على أن يفرض مايريده هو كمواطن ، له كل الحقوق التى يتمتع بها أى مواطن آخر • حين أطمئن الى هذا تكون رسالة الثورة قد بلغت غايتها

ان الثورة ما قامت لتطرد فاروق وحده من مصر • وانما قامت لانقاذ مصر • ويجب ألا تتهم الثورة بالاجرام لمجرد أنها لاتريد اعادة الاوضاع الفاسدة الى ما كانت عليه • يجب أن تؤدى واجبها حتى النهاية • وهذا الواجب لايمكن أن يؤدى كاملا اذا لم يعرف الشعب المصرى حقوقه وواجباته واذا لم يتحرر نهائيا من سيطرة السيد

الديمقراطية ليست فوضى • والحرية ليست حرية الفرد فى أن يفعل مايشاء •

ان للديمقراطية حدودا • كما أن للحرية حدودا • وفى نطاق هذه

الحدود تعمل الثورة • ان ثورة مصر ، هي ثورة الشعب ، لاثورة جمال عبد الناصر

حين تولينا الحكم • لم نتصل باجنبي لنستعين به على الشعب • وانما استعنا بالشعب على الاجنبي • وكان علينا ان نطهر البلاد من الفساد ، و طهرنا ما امكننا منه وكنا مؤمنين بانه لاسبيل الى القضاء على الاحتلال الاجنبي الا اذا قضينا أولا على أعوان الاحتلال الاجنبي وعلى الخونة وقد فعلنا •

وحين أدرك المستعمر انه لم يبق لهم من يعتمدوا عليه في البلاد ، حين ادركوا أن عيونهم في البلاد قد فقدت نورها ، وان أيديهم قد بترت • يومها فقط . شعروا بانه لاسبيل للبقاء • ويومها فقط شعروا بأنه لامناص من الرحيل فكان الجلاء •

ولكن الجلاء لايتحقق بوثيقة

ان خطره يظل قائما مادام في البلاد جندى أجنبي واحد •



جمال الانسان

جمال الثائر



أبرز ما يعجب المحلل النفسى لشخصية جمال عبد الناصر أنه يفهم فى عمق ما هى علة النقص الذى نعانيه كشعب عاش طويلا فى الاغلال • وهذا الفهم يدل على عظمة الشخصية التى تمسك بيدها مقاليد الامور

أن جمال عبد الناصر قد حول العقلية المصرية من وضع الى وضع • أنه أراد أن يخرج من أنفسنا تلك المعانى القديمة التى عشنا بها طويلا فى عهود الحرمان والذل • هذه الفلسفة الانطوائية المتواكلة • فلسفة الجبن والتواكل والخنوع والعبودية والتزلف والنفاق • على هذه المعانى كانت تقوم حياتنا • لم يكن فى استطاعة أى فرد منا أن يصل الا عن هذا الطريق ••

فكان طبيعيا أن يحطم قائد الثورة هذه الاصـــنام وأن يمزق هذه الاوهام وأن يحرر النفوس من هذه العقائد الباطلة • وأن ينقلنا الى فلسفة أخرى قائمة على القوة والحرية والعزة تتمثل فى الاهداف العليا التى حملها جمال عبد الناصر ليلة ٢٣ يوليو • فقد جاء بمبدأ « ارفع رأسك يا أخى » ودعا الى التحرر من الخوف والنفاق • وضرب المثل على ذلك بعشرات من الوقائع الملموسة ••

لقد حرر السياسة من الاسرار والنفاق ، وآمن بأن قوى الخـــير ستدوس قوى الشر • وأن الايمان بالله والوطن هو وحده مفتاح الظفر والنجاح •

وفى كل ميدان • وفى كل مجال • وفى كل مناسبة • مضى الثائر جمال يصحح أخطائنا • ويستل من أنفسنا تلك العقائد والاوهام الذى كونها عهد طويل من الذل ••

هذا الفلاح الذى كان يعيش ذليلا قد بدأ يتحرر بعد أن ردت اليه الارض • وهذا الشباب الذى كان يعرف أن السبيل الوحيد ليكون شخصا مرموقا أن يسير فى ركب زعيم من هولاء الزعماء ، ان الامر قد تحول كثيرا الآن ومضى هذا الزمن الذى كان يمكن لهؤلاءان يعيشوا أو يصلوا • لقد اعتدل الميزان وأصبح الوصـــول والظفر مرده الى الكفاءة والى قوة الشخصية والى العمـــل نفسه • وتكافأت الفرص أمام كل مصرى ليأخذ مكانه الذى تؤهله له مقدرته وكفاءته ••

وصحح جمال عبد الناصر عقائدنا فى كل شىء ، لقد اصبح الشعب هو السيد وأصبحت النقابة تنظيم اجتماعى لايمكن أن يحيا المجتمع بدونه • ونقلت الاموال التى كانت محبوسة فى الارض الى الصناعة • وألغيت الرتب والالقاب وفى هذه المجموعة من الاقوال يرسم جمال عبد الناصر فلسفته فى تحرير مصر من العقائد والاوهام التى كانت تملأ نفوسنا قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢

لقد نقلنا جمال عبد الناصر من الكلام الى العمل • ومن التمنى الى رسم الخطط لتحقيق الآمال • ولم تعد الحرية كلمة تقال • ولم يعد الوطن ملكا لفئة مستغلة أو اقطاعية بل ملك أبنائه جميعا •

لقد دعانا جمال الى التسلح بالمعرفة حتى نتلافى الخداع • وطالبنـــا بالتعمق فى الامور والمعرفة •

وهذه قصة التحول النفسى الذى يريد جمال أن يحققـــه : أنه لب لباب الثورة ، الثورة النفسية التى تحول ما فى الأعمـــاق من

افكار ومذاهب وتستبطن بدلا منها المعانى الجديدة

« .. كانت كل متاعبنا فى الماضى ناجمة عن طيبة القلوب وطيبة النفوس . فقد سلمنا قلوبنا وعقولنا ، هذه الاشياء الغالية ، سلمناها طائعين مختارين ، ونحن نتوخى الثقة والسيادة ونتوخى القوة ، فكانت الثقة تضيع ، وكانت القوة تتحلل ، وكانت السيادة تتبدد ، فاستبدوا بنا وبعقولنا ، فاذا أردنا أن نسير فى طريق قوى فعلينا الا نعبد الأشخاص أوالاصنام فطالما عبدنا الأشخاص فاستبدوا بنا وبعقولنا .

ان هذا الوطن كان دائما سيدا قويا وعزيزا كريما ولكننا لم تنتكس الا بعد ان رضينا بالخداع والتضليل والا بعد أن رضينا بالاستجداء وأخذنا الزهو بالاستجداء ، ولم نكن نعلم أنه الوسيلة للسيطرة على المواطنين والآن لن نمكن للاستجداء أو الخداع أو التضليل من أن يأخذ مكانه بيننا ، سنسير الى الامام متسلحين بالدروس التى أخذناها فى الماضى وبالمعارك التى استشهد فيها الآباء حاملين العلم

لن تمكن الرجعية من أن تقوض مابنيناه تحت أى اسم من الاسماء البراقة التى خدعونا بها فى الماضى .

إننا لانريد ابدا أن يأخذنا الزهو ، ولكننا نريد أن نأخذ من هذا عظة ومن ذلك عبره لكى يتجه الى المستقبل بقوة وعزم .. »

وهذه مجموعة من أقواله فى هذا المعنى البالغ الأهمية :

« لااسرار فى السياسة وليعرف الشعب كل شئ »

« لقد مضى الزمن الذى يمكن أن يعيش فيه السطحيون .. »

« قوى الخير ستنتصر حتما وتدوس قوى الشر بالاقدام »

« قلت لكم فى مارس الماضى ، أننا لن نخادع ، أو نضلل أو نستجدى ، قلت لكم هذا فى أصعب الاوقات .. كنت أحمل فى نفسى كل هذا ، وكنت اعلم أن هناك فئة تستجدى ، حتى اذا تمكنوا منكم فأنهم يستبدون بكم وبارزاقكم

ان بلادنا اليوم تحتاج لكل فرد من أبنائها ، تحتاج لكل فرد من ابنائها فكريا وعقليا ونفسيا .

لن تكون هناك حرية الا اذا تحررت الارزاق وتحررت لقمة العيش وشعر كل فرد أنه يعيش فى وطن تتكافأ فيه الفرص ، ويستطيع أن يقول مايريد ولا يحيا مهددا فى رزقه ولا فى أولاده أو فى مستقبله ».

« لايجب أن ينتحى أى فرد منا جانبا من الحياة » .

ولما سئل عن أمله فى الحياة أجاب هذه الاجابة الحاسمة ... أن ارى الفرص متساوية متكافئة أمام جميع المواطنين الاحرار . وان أرى ابناء مصر يعملون جميعا لبناء دولتهم شاهقة جبارة ، متساندين متكاتفين وأن أرى الانانية والحسد والحقد والضغينة المتفشية فى مجتمعنا قد أنتهت الى غير رجعة .

وهو محدد التعبير حين يصور أمرا خطيرا ، تحس فى تعبيره مدى الوضوح الذى فى نفسه « .. هذه الثورة منذ أول يوم وهى لاتزال عاملة على ارساء قواعد هذه الحرية بأكمل معانيها فهى قد عملت على اقامة حكم العدل لصالح الجماعة ...
أما القضاء على الاقطاع وعلى سيطرة رأس المال فقد بدأت الثورة طريقها الى هذا الهدف واستطعنا بعد صراع طويل فى النواحى السياسية والاجتماعية أن نبنى هذه الاسس وهذه المبادىء »

... والحزبية ماهى :

يقول جمال عبد الناصر « لقد كانت الحزبية والحزبية وحدها هى السبيل الذى استطاع به الاستعمار أن يتمكن من اراضينا . لقد كانت الحزبية هى العامل الأول الذى صرف هذا الوطن عن اهدافه وحريته التى نادى بها فى ثورة ١٩١٩ .

والحزبية هى الداء الذى حول معنى حرية الاغلبية الى حرية الاقلية . وكانت الحزبية اقلية تتحكم فى الأغلبية ، وكان الحكم قائما لصالح الأقلية ، من اجل هذا تحكم فينا الاستغلال وتحكم فينا الاستبداد وتحكم فينا رأس المال وتحكم فينا الذين كانوا يرون مصالحهم تتحقق على حساب مصالح الأغلبية .. »

ويصور جمال عبد الناصر الحكم بعد فترة الانتقال .

« لن يكون حكما حزبيا ولكنه سيكون حكما قوميا .. أن الديمقراطية التى قمنا من أجلها فى ٢٣ يوليو ديمقراطية سليمة نظيفة لاتسمح للاجنبى بالتدخل ولا للمستغل بالتحكم . أنها ديمقراطية قوية من أجل صالح الأغلبية غايتها تحرير الفرد ، تحرير الرزق ، عدالة حقيقية ، وحرية فردية ، وحرية جماعية .
وفى يناير ١٩٥٦ لن تكون فى مصر أحزاب ، بل سيكون هناك برلمان وطنى يعمل للوطن وللأغلبية ، لايعمل لرأس المال ولا للاقطاع أو تحت توجيه أى قوة خارجية شرقية كانت أوغربية

ولكنه سيعمل لمصر وحدها . سيكون هناك جيش وطنى لحماية هذا الوطن لا لحماية حكم أوحكام لانكم حينما قمتم بهذه الثـــورة قمتم لتحقيق أهدافها ولتبيت هذه الاهداف .. »

وحينما رفع العلم المصرى على الشلوفة هزه هذا المعنى الضخم كخطوة كبرى فى تحقيق الجلاء فقال :

« الحرية ليست كلمة تقال ، ولكنها جهاد وعمل . جهـــاد أمة وعمل شعب هذه الحرية التى نشعر بها اليوم ، نشعر بهــا فى كل شعرة من أجسامنا . سنحافظ عليها ، وسنعمل على تقويتهـــا فى هذا الوطن ، هذه الحرية التى ستعطينا القوة فأننا حينما نشعر أننا قد تحررنا تحررا كاملا ، تحررا داخليا وتحررا خارجيا ، وتحررا من الاستغلال فى الداخل ، وتحررا من الاحتلال الأجنبى ، حينئذ نشعر أن الوطن اصبح ملكا لنا جميعا

وقال عن الجيش الذى تمنيناه فى ٢٣ يوليو هــــو جيش وطنى لحماية حدوده ، أن هـــذا الجيش لن يحمى الحـكم والأفراد ولـكنه سيحمى مبادىء هـــذه الثورة ومثلها العليـــا التى قامت من أجـل الشعب ... » .

ووقف جمـــال عبد الناصر فى معمل القزاز حيث بدأ يوزع أراضى الاصلاح الزراعى فقال .

تحديد الملكية التى تخلصنا بها من الاقطـــاع والاقطـــاعيين الذين ظلوا سنين طويلة فى هذا البلد يعبر عن معنيين رئيســـيتين المعنى الأول هو الحرية السياسة والتخلص من الاستبداد السياسى ،وهذه الأرض هى العامل الأول دائما فى التوجيه السياسى فى هذا البـــلد والفلاح الذى كان يشتغل فيهـــا ينظر الى صـــاحب الأرض على أنه الرجـــل الذى يتحكم فيـــه ، وفى رزقه ، وكان لايستطيع أبدا بأى وسيلة أن يتخلص من التوجيه السياسى الذى يشير به عليه وكان هذا التوجيه ينحصر فى نتيجة واحدة هى تحكم الاقطاع فى الحـــكم وتحكم الاقطاع فى سياسة الدولة .

هذه الأرض ليس معناها تمليك الأرض ولكن معناها التحـــرر والحرية ، التحرر من الظلم السياسى والحرية من التحكم فى الرزق والحرية فى التحكم من لقمة العيش .. »

وفى مهرجان آخر للتوزيع أخذ يصحح الاخطاء التى وقع فيها بعض الناس ويربط الماضى بالحـــاضر ، لقـــد سلب محمد على الأرض من أصحابها وجاء جمال يعيدها اليهم :



العلم المصرى يخفق ...

« .. لقد سمعت من يقول أن الأرض ردت الى أصحابها الفلاحين في غمضة عين ، ولكن هذا اعتقاد خاطىء ، فالأرض التى توزع الآن كافح فى سبيل استردادها آباؤنا واجدادنا كفاحا طـــويلا مريرا شاقا كانت له ضحايا فى الارواح والابدان بالمئات والالوف ذاقوا من مرار الحرمان كؤوسا مترعه ، ولم تقعدهم الهزائم التى صادفتهم فى هذا الزمن الطويل عن مواصلة الكفاح لاسترداد الحقوق المغتصبة

أرجعوا الى عصر محمد على وأذكروا مافعل ، أنه جمع مستندات تمليك الأرض من أصحابها واحرقها وأصبح هو المالك لأرض مصر ثم بدا يوزع الأرض على البطانة الاجنبية التى احضرها معـــه من الخـــارج .

كانت معركة استمرت عشرات الســـنين ، وكان لها ضحايا ، فكيف يقال أن النصر جاء فى غمضة عين ، وكيف ينسى الذين ماتوا من الجوع والتعب والاذى والذين هاجروا من ديارهم التماســـا للأمن والظلم يطاردهم ..

باسم هذه الضحايا ثرنا نحن أبناء الفـلاحين وكانت ثورتنـــا خاتمة هذه المرحلة الطويلة من الآلام والعذاب وقد كللها الله بنصر من عنده . »

وهو اليقظ الحـــريص لاينسى ابدا أن يذكر الناس باليقظـــة والحـــرص .. « يجب الا نطمئن ابدا ، لأن الطمأنينـــة تدعو الى التكاسل ، واذا تهاونا أنقض علينا الاقطاع مرة أخرى ، وانشـــب اظافر الاستغلال فى اعناقنا وعاد يتحكم فى ارزاقنا وفى حرياتنا .. »

والصحافة : مارأى محرر مصر فيها ؟

« لقد كنت أؤمن دائما ان مهمة الصحافة ليســـت مجرد سرد الأخبار ، ومتابعة تطوراتها يوما بعد يوم ، ذلك جزء هام منطبيعة عملها لااستطيع أن انكره او أقلل من اهميته ، ولكن أول واجبات الصحافة الرشيدة فى البلد الرشيد ، أن تكون له بمثـــابة الانوار الكاشفة على طريق الغد .

والمعلمون والتعليم : ماذا يقول فيها جمال عبد الناصر

يقول « .. اذا كنا قد حررنا الأرض من الاحتـلال ، واذا كنا نريد أن نحتفظ بهذا النصر فلا بد أن نحرر العقل والنفس من آثار الاحتلال والاستعباد وهذه رسالتكم أيها المعلمون .

أننا لم نخادع ولم نضلل ، ولكن سنستمسك بالمبادىء والمثل العليا ونطالبكم بالمبادىء والمثل العليا ، وأن تعلموا النشء ألا يخادع أو يضلل ، وبذلك نحقق قيام الوطن الذى نتساوى فيه الجميـــع

وهو يصور ضمير مصر قبل الثورة ... كنا قبل الثورة تائهين

نشتكي لبعضنا وينتهي العمل بمجرد الشكوى ، وكانت النتيجة خضـوعا .

فباسم الخلافة والاحتلال التركي ضحكوا علينا باسـم الدين وقضوا على الاخلاق وانتشرت الرشوة ، ونحن كشـعب طيب كنا نصدق وكان المصير الاستغلال والاستعباد ، تحكموا فينا كأفراد وربوا في أنفسنا الخوف والفزع .

« .. لقد استبد بنـا التواكل مدة طويلة ، لأن آثار السياط على ظهورنا لاتزال تؤثر في نفوسنا وقلوبنـا ولاتزال تتفـاعل مع شعورنا ومشاعرنا .

وأن الاستعمار التركي والاستعمار البريطاني قد أوجـدا فينا فئة من الطغاة وفئة من المستسـلمين فاذا أردنا أن نحقق أهدافنـا فيجب أن نتخلص من الطغيان ونتخلص من الاستسلام .. »

وهو دائما يفكر لمصلحة مصر : لمصلحة ، كل فرد من هذه الأمة

« .. لو هيئت لي الأسباب كلها لبدأت أن أجعل لـكل فرد من هذه الأمة كيانه الذي يشعره بأنه عضو نافع له قيمته بين مواطنيه فبهذا يستطيع أن يشعر كل مواطن بأن مصر ليست ملكا لأحد غيره وأن عليه أن يحمي حماها أو يفنى في الدفاع عنها ، ولن يتأتى هذا الا اذا أصبح الفرد في مستوى من المعيشة يليق بآدميته ، هذا أول ماأطمع في تحقيقه لا لاسعاد الأفراد فان كل انسان منـا الى زوال بل لاعزاز مصر ، ولتمكين مجدها وسؤددها الى آخر الابد .. »

ويتكشف جانب من نفسيته عندما يتحدث في الاجابة على سؤال وجه اليه عن طريقته في الراحة بعد التعب :

« .. لا أظن أن لي طريقة في الراحة بعد التعب ، فحياتي كلهـا تعب ونضال .. ولا أظن أنني اسـتمتعت بالراحة التي يتمتع بهـا سائر عباد الله على كثرة ما صادفني من أحداث كانت تعـكر لحظات راحتي وتستنهضني للكفاح ..

ولو وازن الانسان بين مقتضيات الراحة والكفاح لخرج من هـذه الموازنة بنتيجة واحدة هي أن المحن في حياة الشعوب كالمحن في حياة الافراد لا تدع لهم وسيلة للاستقرار ..

لقد كانت مصر مثقلة بالاخطاء ، بعناصر الفساد تنخر من الداخل .. وكان الاستعمار يجثم فوق صدرها ويستغل مواردها ويفسد علاقاتها بالدول الاجنبية .

وكان هذا الوضع لا يرضى أي مصري حر . فانشغل باله وحـرم الراحة على نفسه ثم اندفع في طريق طويل مرير ، عساه يجد مايخلصه من الفساد والمفسدين ، حتى اذا نجحت ثورة مصر وارتحنا من الفساد في الداخل ولم يبق الا أن نستكمل راحتنا بعد أن يغادر ديارنا آخر جندي بريطاني ولن يطول بنا انتظار الراحة المرجوة ..

وفى ذلك اليوم فقط سأشعر بالراحة ..»

ورأيه فى المرأة : هذا الرجل الذى غلب عقله عاطفته ، وشغله جهاده وكفاحه ، واستشرفت نفسه سير الابطال والقادة ، هذا الرجل يفهم المرأة ويرسم دورها بعد الثورة .

« ان مجتمعنا يخلو من المرأة الموحية مجتمع عقيم لاينجب عظيما ولا صاحب موهبة . فالمرأة هى التى تصنع العظماء وتهب لهم المواهب العظمى لتصنع بهم المستقبل العظيم للوطن ..

وقد كانت المرأة المصرية قبل ٢٣ يوليو تعمل فى نطاق محدود .. لا يهيىء لها وسائل الانتاج والعمل المثمر اذ كانت الحياة الفاسدة من حولها ومن حول المصريين جميعا تفرض عليها أن تستهلك نصف طاقتها لمقاومة عناصر الفساد والشر فى كل ميدان من ميادين العمل الخاصة والعامة . أما اليوم وقد زالت تلك الاسباب وانزاحت من طريقها العقبات ، فقد أتيحت لها الفرصة لتحشد طاقتها كاملة للعمل الايجابى المثمر سواء فى ميدانها الخاص أو ميادين الخدمة العامة . انها تستطيع أن تنقل الثورة البانية الى كل نفس والى كل دار فى مصر والى كل جماعة عاملة فى البلاد فتثبت بذلك انها نصف الشعب . بل انها ذات أثر فى كل شعب ... »

من هذه اللمحات تبدو شخصية جمال فى وضع آخر ، ان جمال ليس ذلك البطل العسكرى الذى حرر مصر من ملك طاغية ومن نظام فاسد ، والذى حرر الارض ..

لا .. ان كل هذا لا قيمة له ازاء رسالة بالغة الخطورة بذيعها فينا جمال ويقنعنا بها ويدفعنا دفعا الى تحقيقها . تلك هى التحول النفسى والعمل على وصول الثورة الى مكان العقيدة ، وتطهير اعماقنا وضمائرنا من الاوهام والعقائد القديمة ، القائمة على الخوف والعبودية والنفاق .

ان جمال محرر مصر هو أيضا ، ثائر من نوع جديد ، يقوم على العلاج النفسى ، انه يبغض السلبية ويعرف مدى ما للعقد ورواسب الماضى من أثر فى نفوسنا ، فهو يريد أن يحررنا منها ..

انه رجل واقعى يبدو هذا جليا فى كل كلمة يقولها . لقد عاش فى معترك السياسة والجيش سنوات يستمع ويقرأ ويبحث ، وعاش وراء كواليس الثورة زمنا . كان وراء كل خطوة . كان هو صانع كل شىء . ومع ذلك لم يعرفه الناس الا فى الوقت الذى ألزمته الثورة أن يظهر . وهذه القدرة النفسية الجبارة فى انكار الذات تعطى مفتاح شخصيته وتعطى تصرفاته روح الحكمة والقدرة وضبط النفس ..

.. وليس جمال عبد الناصر صورة تقليدية من أى زعامة أو بطولة أخرى .. انه نسيج مصرى خالص . فهو ليس تلميذ أحد ولكنه ابن مصر وخلاصة المعانى والآمال التى عاشت طويلا فى ضمير الزمن تنتظر القائد الذى تتبلور فى صورته وشخصيته .

جمال والحكم

الرئيس جمال فى افتتاح الكلية الحربية الجديدة



« .. ان مصر تحكم لاول مرة من عهد قمبيز بمصريين صميمين .. منهم من هو من أهالى أسيوط وآخر من مديرية المنيا وثالث من أهالى مديرية القليوبية . وهكذا يكون القائمون فينا منا ولنا . وقد بدأوا عملهم بما لم يخطر من قبل على بال أحد . وهم ماضـــون فى سبيل توطيد دعائم الاستقرار التام ..

.. ان أفراد أسرة محمد على زعموا انهم مصريون . وكانوا مع هذا الزعم لا يتحدثون باللغة العربية التى كانوا يجهلونها ..

.. ان حكام مصر الحاليين يحسون بحكم مصريتهم بما يحس به

كل مواطن لهم ، وهذا الاحساس هو الذى يطيء لهم الطريق المؤدى الى ما فيه خير مصر وسعادة المصريين » •

وصدق لطفى السيد فى تصوير الحاكم المصرى الذى هو من أعماق الشـــعب والذى يحــكم مصر لاول مرة وقد خلصت بلاده من مظالم الطغيان التركى ممثلا فى ملك مستبد تاجر وزعماء صرعتهم الحزبيــة وقتلهم الترف وأفسدتهم عبوديتهم للمستعمر • لم يقف واحد منهم فى وجه الظلم • ولم يقل كلمة لا •• ولم يذكر مصر فى تصرف •

وظلت مصر تلقى على يد حكامها صفعات متتاليات • وطال الليل •

ولكن الفجر لم يلبث أن أشرق •• وشهدت مصر حاكما من طراز جديد • حاكم قوى متمكن لا يخضع لهزات حزبية ولا لعواصف تنبعث من ناحية قصر الدوبارة أو قصر عابدين • يعمل وقته كله فلا يريح ولا يستريح • فقد كان كل حاكم يقول : الطوفان من بعدى • اذ كان يعرف انه لن يبقى فى الحكم غير سنة أو سنتين ••

وعمل جمال على تحرير الحكم من سيطرة راس المال أو رجال المال بعد أن كان مسخرا لخدمة الاقطاع وكانت الحكومات كلها لعبة فى أيدى أصحاب رؤوس الاموال مسخرة لتنفيذ مآربهم •

ووقف جمال يقول « اننــــــا الآن نلقى جميع الاوزار على الحكام وحدهم • أريد أن أقول ان أى حاكم اذا ترك وحــده لن يستطيع أن يتغلب على نزعات نفسه • والنفس أمارة بالسوء ولهذا يجب أن يكون الشعب متيقظا ومسلحا بالمعرفة ••

اننا لن نتمكن من تحقيق هذا الا اذا كان الحاكم مؤمنا بالحـــرية والشعب متحررا من الخوف •• وهكذا يضع جمال عمله كحاكم عام المشرحة أمام الشعب • ويتلفت الناس فى دهشـــة أى حاكم كان فى الماضى يفعل ذلك • ولكنها الثقة والاخلاص والعمل لوجه الوطن تملأ نفسه ••

وقالوا أن الثورة تتجه نحو الدكتاتورية وكذب جمال هذا وكانت كل الشواهد والادلة معه •• أعلنها صريحة ان هذه الثورة هدفهـــا الاول هو الديمقراطية لاننا نؤمن بارادة الشعب وقوته ولكن لن يكون للشعب قوة ولن تكون له ارادة الا اذا أحس بالديمقراطية • اننا لم نفكر لحظة واحدة فى الديكتاتورية لاننا لم نؤمن بها أبدا ، فهى تسلب الشعب ارادته وقوته • ولن نتمكن من أن نفعل شيئا الا بقوة الشعب وارادته ، لم نقم بهذه الثورة التى تدعو الى الحـرية لنتحكم فيكم أو نستبد بكم ولكنا لانريد الديمقراطية الزائفة ديمقراطية الاقطاع •

لقد حطمنا الاقطاع ليشعر كل فرد بأنه حر متساو بغـــيره فأنتم يأبناء مصر ـ وليس مجلس الثورة ـ أنتم الذين ترسمون الطريق الذى سنسير فيه والذى يقرر مصير الوطن أجيالا طويلة ».

وهكذا لم يقبل جمال السلطة المطلقة ولم يستعملها • كان دائمـا

يجمع الناس ليقول لهم ماعنده ويستمع اليهم ويصفى معهم حساب الفترة الماضية ..

ان جمال يريد للثورة أن تستمر وتمضى الى نتائجها الايجابيـة :
لقد قضت مصر دهرا طويلا تعيش على الذل ، فقد قضى حكامهـا السابقون على الاخلاق ونشروا الرشوة . وتحكموا فى الشعب كأفراد وربوا فى نفوس الناس الخوف والفزع

وقد حرص جمال على أن يسجل أن الثـورة هـدفت الى تحرير المواطنين من الاذلال النفسى الذى سيطر عليهم عهدا طويلا حتى جعل كل واحد منهم طاغية وعبدا فى وقت واحد .. عبدا للاقوياء طاغيـة على المواطنين الضعفاء . وقال : **لقد عشنا عشرات السنين تحت حكم الاستعمار التركى الذى قضى على روح الشعب وحقوقه ونشر الفزع والرعب فيه فوجد الطغـاة فئة من المستضعفين الذين أعانوهم على اذلال الشعب** . ونسى جمال أهله فى الحكم . ولم يقبل أن يستثنى لاحد منهم فى أمر من الامور

وطالب جمال بان يناقش الشعب كل مسئول عن أعمـاله حتى يستطيع أن يعمـل وأن ينتج وان تتحدد المسئولية ، وبذلك يتم الاصلاح .

وحذر من الذين يصنعون الطغاة وقال انهم ألد للشعب من أخطر أعدائه ..

وندد جمال بالحرية الزائفة التى كانت فى العهد الماضى فقال :
كنا نقاسى كل ألوان الذلة والعبودية باسم حرية ابتدعها حكام العهد الماضى ، فكان لهم برلمان قالوا عنه انه منبر للحرية ومشعل للعدالة الاجتماعية ودستور .. قالوا انه النور الذى يضىء طريق الحرية .. نعم كانت الحرية فى نظرهم حرية الطغيان وحرية استغلال ذوى النفوذ بعرق المواطنين وكفاحهم . كانت الحرية فى نظرهم ان يعيشوا ولو على أنقاض الاخرين ..

وفى أشد الايام محنة فى مارس ١٩٥٤ وقف جمـال يقول : لن نخادع ولن نضلل ولن نستجدى .. كنت أعلم أن هناك فئة تستجدى حتى اذا تمكنـوا منكم ، فانهم يستبدون بكم وبأرزاقكم حتى ولو تعاونوا مع الاحتلال وأعوانه فى سبيل الوصول الى اغراضهم .

وقال جمال انه يريد أن يعيش مسكينا ويموت مسكينا وان الثورة لا تريد أن تشترى ثقة الشعب بثمن بخس وانما تريد أن تدفع فى هذه الثقة عرقا يتصبب من الجبين وسهرا مرا وعملا متصلا . وقال انه يدفع هذا الثمن راضيا به قلبه طيبة نفسه لانه يعرف أن من ورامه مجدا لهذه الأمة وعظمة لهذا الشعب وكرامة لهذا الوطن الذى يفتديه بالمهج والارواح ..

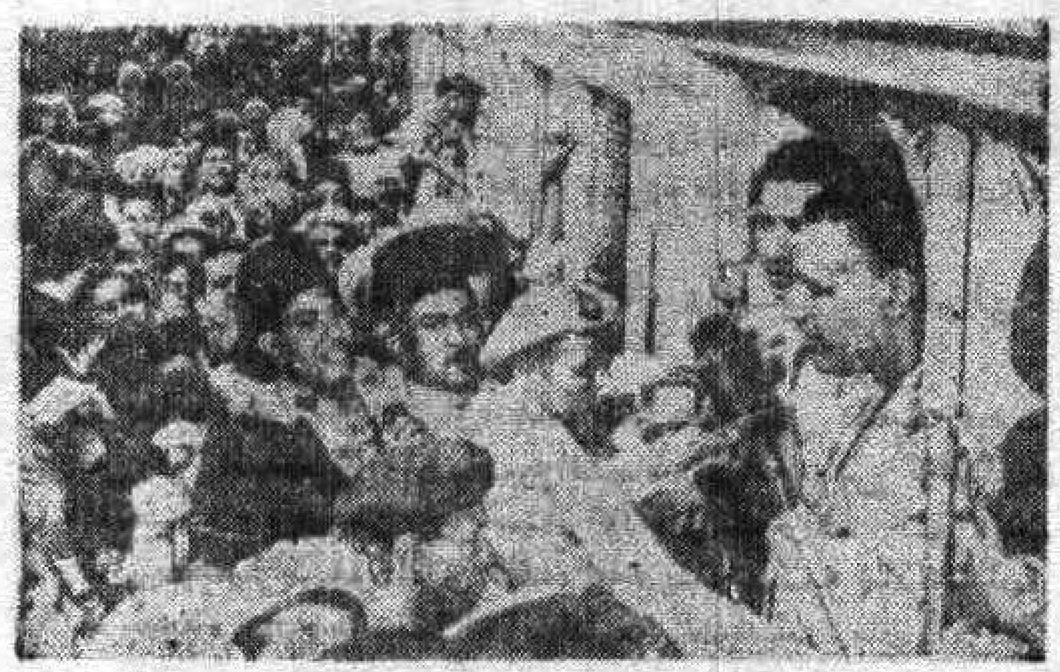
ورفع جمال رأس مصر عاليا بهذا الاسـلوب النظيف من الحكم . أوقف السرطان الذى كان يفجر خلايا الأمة ويمزق جسدها ، ووقف

المراقبون السياسيون فى الغرب ينظرون باعجاب للحاكم الجرىء القوى الامين ..

ومضى الحاكم الجديد شعلة من الذكاء والنشاط يفكر ويدبر ويحدد المشاكل ويرسم الخطط ويقدم على التنفيذ السريع مؤمنا بأن المبادىء السليمة لابد أن تنتصر مهما كانت المصاعب التى أمامها ويكون النجاح قريبـــا وسهلا اذا أحس كل فرد من أفراد الوطن بقيمته كفرد فى المجموع ، وأحس فى نفس الوقت بقيمة الاخرين .

ودعا جمال الى العقل والى نبذ العاطفة فى الحكم على الامور . وطلب أن تتخلى عن عيوبنا فى الماضى . طيبة القلب والثقة بغير دليل . وعبادة الاشخاص وكل هذا من شأنه ان يمكن للرجعية

وقال ان الثورة لاتريد أن تلهب العواطف ، ولكن تريد أن تلتقى مع عقول الشعب ، فقد اساء لمصر طويلا أولئك المهيجون للعواطف الخادعون المضللون ..



وهدفه فى الحكم أن يتساوى كل فرد مع أخيه فى الحقوق ، وأن يشعر كل فرد أن هذه البلدبلدهلاعبيد ولا أسياد ..

وأكد جمال كراهيته للدكتاتورية وقال لم اننا لم نفكر لحظة واحدة فيها لاننا لم نؤمن بها ، فهى تسلب الشعب ارادته وقوته .

ومضى يؤكد هذا المعنى : « انى لاأصلح ديكتاتورا ،لاأصلح مطلقا أولا لانى ديمقراطى بطبعى . وثانيا لان الثـــورة ثورة ديمقراطية . ولو انحرفت عن هذا الهدف لكتب الله لها الفشل . وثالثا لاننـــا جربنا الدكتاتورية الفردية والدكتاتورية البرلمانية فكانت الكوارث وكان الفساد ..

وكان جمال فى هذا مثال الحاكم الحصيف المفتوح العينين على حقائق

التاريخ القريب والبعيد • الرجل الذى شـاهد مصير الديكتاتورية وهى تخر على اعقابها فى كل مكان قامت فيه ، ونجاح الديمقراطية •

ان جمال عبد الناصر الذى يحـكم مصر الان فى سن السـابعة والثلاثين • وهو أول حاكم لمصر فى هذا السن • سن الشـباب • السن القريب من الاربعين • سن بعثة الانبياء • آمال الشباب وقوته وأحلامه تضطرم فى قلبه الفتى ولكنها تلتقى فى نفس الوقت بعقل مركز حصيف قوى التفكير متزن التصرف • فيه رجولته وكماله •

ومن عقله وعاطفته تتكون الصورة الرائعة • هـذا الحسم والعزم والمضاء • ان ما يحققه فى لحظات كان يقتضى سنوات من عمر مصر • وهذا هو القلب الخافق ،ثم هذه الحكمة فى التصرف • والرأى المدروس والعبارة الموجزة والاعصاب الهادئة هى ذلك العقل المركز

ولابد أن يكون لهذا الحاكم طابعه النفسى المسـتمد من شخصيته المؤمنة بمصر ، على نحو لم يعرف من قبل •

وفى سليقة جمال وطبيعته نزعة الميل الى العزلة والى الانطواء على نفسه وعلى واجبه الضخم • وهو يريد ان يعطى الأمة صورة جديدة من الحاكم • انه رفض ذلك الاسلوب الذى يجرى مع العـاطفة ومع الهوى •• انه يؤمن بأن الحاكم بعد الثورة اذا عاش على هذه الصورة العاطفية الخالصة لم يلبث أن يكون صورة مكررة مما كان عليه الزعماء المهرجون قبل الثورة ••

ولابد أن تكون هناك فواصل كبيرة ، وتحـول ضخم فى الافكار والآراء وفى فهم الامور ••

ان جمال عبد الناصر يكره هذه المسرحية التى عاشت فيهـا مصر من قبل •• التصفيق والهتاف والكلمات البراقة التى كانوا يخدعون بها الشعب •• وهم من وراء ستار أذلة للملك وأذلة لممثل الاستعمار

وكان طبيعيا للرجل الذى أنشأ هذه المدرسـة الجديدة أن يرسم تقاليد جديدة •• « ما جئنا اليوم لنلهب العواطف ونثير الغرائز ولكنا جئنا هنا لنلتقى بكم ولنتحدث الى عقولكم • لا نريد أن نلهب العواطف فطالما سمعنا هتافا وطالما هللنا فماذا كانت النتيجة »

وفى موقف آخر يقول : « •• لا أحاول أن أشـعل الأمل أو أثير العواطف •• »

لقد كان الحاكم يتملق الشعب لانه كان يتخذ منه ذريعة للوصول الى الحكم عن طريق البرلمانات المزيفة • أما جمال فهو يعطى للشعب من دمه وأعصابه •

وأول مايتسم به جمال عبد الناصر الصراحة والوضوح ، والكلام المحدد الذى لا لبس فيه • انه رجل يفهم كيف يخطو ومتى يخطو • انه تعلم أول شبابه كيف يدير المعارك ، وكيف يقود الجيوش ، وقد حول أسلوب الحرب الى السياسة • الاسلوب الجاد والكلمة التى تحمل

معنى واحدا • والعبارة الواضحة • والطريق المستقيم • ثم تعد السياسة لولبية ومطاولة وأسلوب صالونات • وعبارات رائعة من وراءها عبودية • ولا كلمات تحمل معنى الجد ومن وراءها مناورات أو مساومات •..

ومن ثم بدت السياسة تلبس لونا جديدا يختلف أشد الاختلاف عن الاثواب المهلهلة التى كانت فى الماضى •

ومن ثم أخذت مصر بهذا الاسلوب الواضح الصريح •• الخط المستقيم الذى هو أقرب طريق بين نقطتين •• اذا صادقت تفنى فى خدمة أصدقائها • وتبذل كل شىء فى سبيلهم ، واذا عادت أحد صارحته برأيها • ولم تهجم فى الظلام وتعانق فى النور •

كان الساسة فى الماضى يتكلمون مع كل فريق باللغة التى يحبها ويعدون دون وفاء ، ويمدون أيديهم بغصن الزيتون ، بينما يخفون من وراء ظهورهم يدا أخرى تحمل خنجرا • ولكن مصر التى يحكمها الثائر جمال عبد الناصر لا تؤمن بهذه الاساليب وهى تعتمد على أن تواجه الامور بصراحة وفى وضح النهار دون حاجة الى التواء أو مداورة

لقد كان هذا حجر الزاوية فى ثورة مصر • الثورة على الفساد السياسى والفساد الفكرى والعمل على تسمية الاشياء بأسمائها • ان ثورة مصر ثورة صريحة لان قائدها رجل صريح ، فهى لا تعرف اللف والدوران •

ولطالما أعلن جمال انه رجل لا يعرف السياسة التى اعتادها ساسة الماضى وقال للشعب « اعاهدكم بأننى لن اخادع ولن اضلل ولن أستجدى أبدا مهما قالوا ومهما حاولوا » ••

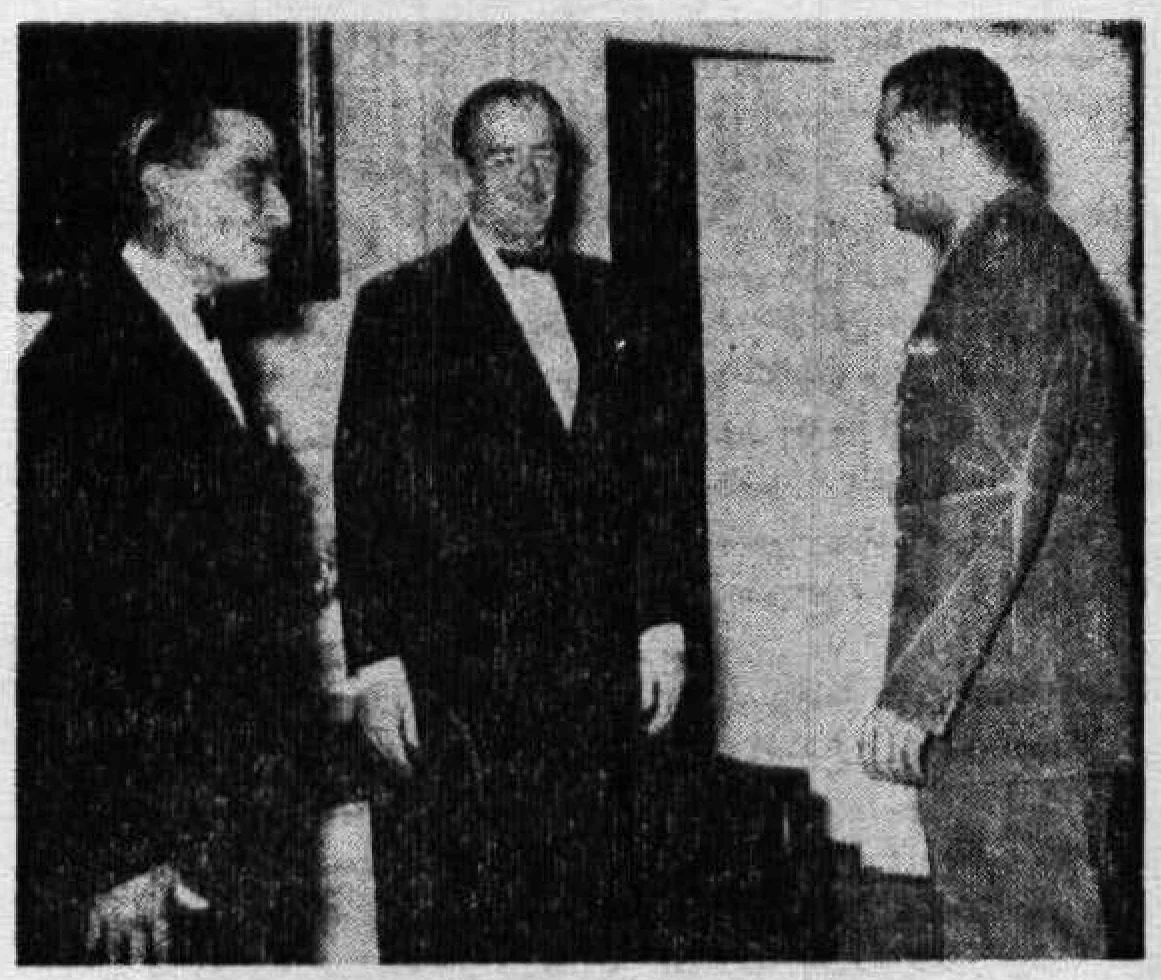
ومن مميزات جمال انه يغلب العقل على العاطفة • ويقلب الامور على وجوهها فى هدوء ويستمع الى الرأى المعارض • ويفحصه جيدا • وهو لا يكره النصيحة ولا النقد بل يتقبلهما بسعة صدر ويسلم بهما اذا ما اقتنع •

ويجب أن نقرر هنا بأن جمال ثائر قبل أن يكون حاكما •• فى هذه المرحلة الحاسمة بين جيل وجيل وعهد وعهد • وهو فيصل هذه المرحلة المرحلة المليئة بأفدح الاعباء •

وهو يستمع الى كل رأى • ويقرأ كل ما يكتب • ويدون الملاحظات وكل أوقات نهاره وليله عمل متصل • لاراحة فيه ولا هوادة • وهو من أصحاب الاعصاب الحديدية الذين يهبون أنفسهم وكيانهم كله لرسالتهم • ولا تستطيع الاحداث على أى صورة من صورها أن تفقده أعصابه • وفى هذا قصص تروى • فهو كالعباب الهادىء الذى يضمر فى أعماقه ثورة هائلة •

جمال عبد الناصر

محرر مصر



لم يكن من الممكن القضاء على الاستعمار الا بعد القضاء على أعوانه فى الداخل .. فقد كان وجود هؤلاء الاعوان عامل فعال فى الحيلولة دون تحقيق الجلاء عن البلاد .. كان المستعمر يثق بأن رجاله مايزالون فى الداخل ، وان هؤلاء الزعماء الذين يتعاونون معه لا يملكون أى قوة ترغم الانجليز على الاذعان لرأيهم ، وانهم لايمثلون الشعب تمثيلا صحيحا . ولذلك فشل كل الزعماء المصريين فى تحقيق الجلاء عن مصر خلال ثلاثين عاما ، انقضت وكلها مناورات ومساومات رخيصة على موائد المفاوضات ، وكان من العجيب أن كثيرا من أعوان الاستعمار هم أنفسهم كانوا يمثلون مصر فى المفاوضة مع بريطانيا لتحرير مصر .

فلما جاء جمال عبد الناصر تغير الوضع تغيرا كاملا .. لم يكن من الساسة القدامى ، ولم يكن من الذين أغناهم الاستعمار ومنحهم بسخاء من المال والارض بحيث أصبح اقطاعيا أو عاملا من عماله ..

ولم يكن يفهم تلك الاساليب البهلوانية ولا يراضاها لنفسه ولا لبلاده ، وانما وجدوا أمامهم رجلا حازما واضحا صريحا ، عاش حياته منذ فجر شبابه كارها لهذا الاستعمار ، راغبا فى تحرير بلاده ، وقد كافح طويلا فى ميدان المنشية وهو فى سن الثانية عشرة واشترك فى ثورة ١٩٣٦ بعد تصريح هور • وكان اعداده للثورة فى خلال السنوات العشر الاخيرة لا يعنى على الاقل الا تحرير مصر من الاستعمار • وكان أداة فعالة فى حرب فلسطين وحرب القنال •

فهو منذ وعى نفسه كشاب وقد اشترك فى معركة الكفاح والمقاومة الشعبية مؤمنا بحق مصر الكامل • دون تقسيط أو التقاء فى منتصف الطريق أو مفاوضات أو شىء فى مقابل شىء ، وهى القواعد القديمة البالية التى عرفتها المدرسة السياسية البائدة ••

ووجد الاستعمار فى جمال طرازا جديدا لم يألفه من قبل • انه من ذلك الصنف الذى لا يتلهف على المهادنة ولا يسعى الى الاسترضاء • وهو ليس السياسى المحترف الذى يحرص على الحكم • وهكذا لم يلق الاستعمار ثغرات مفتوحة يستطيع أن ينفذ من خلالها •

وحدد جمال أهدافه منذ الجلسة الاولى للجانب البريطانى •• « وقد توالت الجلسات دون أن نتزحزح عن موقفنا الذى لانملك بأى حال من الاحوال أن نتراجع دونه ولم نقبل الدخول فى أية تفصيلات » •

ذهب جمال الى مكان الاجتماع ، وقد غمره الشعور بأنه داخل ليملى شروطا لاليتلقى اقتراحات ، وتكلم جمال فلم يلف ولم يدور • انحنى الى المائدة وقال كلمته ، التى لم تسمعها بريطانيا ، منذ ثورة سنة ١٩١٩ حتى اليوم :

ليحمل الاستعمار عصاه على كتفه ويرحل أو يدافع حتى الموت عن وجوده ، وانتهى الاجتماع ، وأعلن جمال الحرب على الاستعمار ، وبدأ يجند كتائبه ويعد قواته ، ويفتح أبواب المعسكرات لتدريب الشباب واعدادهم على أنواع وألوان وصنوف : الكتائب والمنظمات والحرس الوطنى •

وقال جمال : اننا نحن الذين سنحدد موعد المعركة ومكانها ••

ومضى يجند كل شىء فى سبيل تحقيق هذا الهدف • وحدد موعده وتجاهل الانجليز تجاهلا واضحا صريحا • وعلت صيحة الجهاد • ودوى نفيره فى كل مكان على أرض الوطن • ومضى الشباب المتطلع الى مجد مصر يضرب النار ويقود الدبابة ويحمل المدفع • وتخرجت أفواج متعددة فى شرق البلاد وغربها •

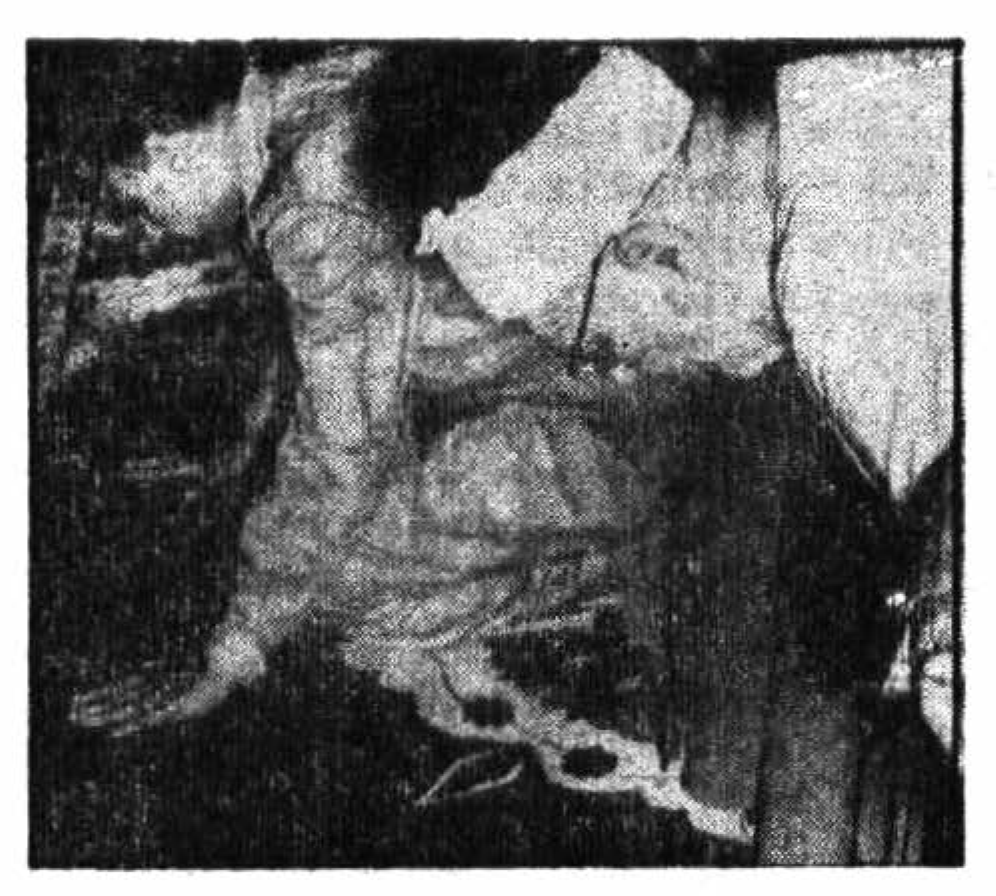
وصح عند الانجليز أن الامر جد ، وأن الموعد الذى حدده جمال سيكون قريبا وأن الموقف سيكون عاصفا ، وانحنت القبعة البريطانية أمام قائد ثورة مصر مذعنة لمطالبه ••

وكان لابد أن تفعل بريطانيا هذا • فقد فقدت أعوانها فى مصر • لقد سحقت الثورة هؤلاء العملاء بقــوة ، وآمنت بريطانيا أن الذى يتكلم باسم مصر قادر على امتلاك ناصية الموقف • وانه قد أدخل فى حسابه شىء لم يسبق لزعماء مصر أن أدخلوه فى الحساب • لقد سلح جمال الجيش ودعمه وقواه على صــورة أدهشت بريطانيـا •• بل أزعجتها ••

لقد رفض جمال عبد الناصر أن يدفع شيئا فى مقابل الجلاء وقال عبارته الخالدة لن نوقع أى اتفاق للدفاع ثمنا لخروج الانجليز : لقد علمتنا التجارب أن التحالف بين القوى والضعيف مثل التحالف بين القط والفار ، ولسنا ببعيدين عما حدث عقب محالفة ١٩٣٦ ، فلقد نصت المحالفة على أنها بين سيدين متساويين ولكننا عوملنا من جانب بريطانيا منذ اليوم الاول لتوقيع المحالفة معاملة المستعمرات البريطانية ولا يمكن أن تتكرر هذه المهزلة • ولا يستطيع انســان أن ينكر أن جمــال عبد الناصر رد الى المصريين كرامتهم ورجولتهم ورفع رأسهم ورأس بلادهم • فهو قد حررهم من الاستعمار فأحسوا للمــرة الاولى بعد سبعين عاما بأنهم أهل لأن يقفوا على قدم المساواة مع كل شعوب الارض الحرة الكريمة •



جمال الداعية الإسلامى



وهذا أفق جديد من آفاق جمال عبد الناصر . يراه ضرورة وأملا : هو ربط المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها بموسم الحج ، ليخلق لهم قوة تحررهم من شتى صنوف الاستعمار وترتفع بهم الى مكانة رفيعة تتفق وماضيهم الخالد . وتتساوق وذكراهم التى سجلها التاريخ فى أنضر صفحاته وأروع أسفاره .

وقد كانت فكرة المؤتمر الاسلامى تراود أعلام المسلمين فى المشرق والمغرب منذ مئات السنين حتى جاء جمال ليحققها ، وليست هذه الفكرة جديدة على برنامجه ولكنها كانت تملأ نفسه منذ الساعات الاولى التى فكر فيها فى ثورة ٢٣ يوليو كخطوة لابد منها تستطيع مصر بها أن تأخذ مكانها وان تحمل المشعل والرسالة خارج حدودها لتنشر رسالتها ، رسالة الحضارة والعزة والكرامة بين المسلمين فى الشرق . وتستطيع مصر أن تقول كلمتها فيسمعها العالم .

فلقد رأى جمال أن فى أفريقيا كتلا بشرية تتحدث عن دين . لقد ذهب اليهم الاستعمار وراء طليعة من المبشرين انبثوا فى المراكز الحساسة وبثوا فى كل منها كنيسة ومستشفى ثم راحوا يعملون

بجهد لايعرف الملل ، وهو يقول لماذا لانذهب الى هناك لنقدم لهذه الكتل البشرية الهائلة ديننا ونقدم لهم الحرية معه .

ذلك أن جمال يؤمن بأن ملايين المسلمين فى جميع الامصار يمكن أن يكونوا قوة لاتقهر وتستطيع هذه القوة أن تاخذ حقها فى العلم والرزق والحياة والعمل .

وهو لايرى أن الحج تذكرة الى دخول الجنة وانما هو موعد لتلتقى فيه امال المسلمين ليتخذوا موقفا ازاء مشاكلهم والامهم . فمكه هى الكعبة التى يتجه اليها المسلمون فى كل بقاع الارض وفى موسم الحج فيجب أن يجتمع فيها قادتهم لكى يتلاقى الكفاح وتتوحد الاهداف .

يقول « لقد وقفت أمام الكعبة واحسست بخواطرى تطوف بكل ناحية من العالم وصل اليها الاسلام ، ثم حدثتنى نفسى :

يجب أن تتغير نظرتنا الى الحج،لايجب أن يصبح الذهاب الى الكعبة تذكرة لدخول الجنة بعد عمر مديد . أو محاولة ساذجة لشراء الغفران بعد حياه حافلة .

يجب أن تكون للحج قوة سياسية ضخمة ويجب أن تهرع صحافة العالم الى متابعة أنباءه ، لا بوصفه مراسم وتقاليد وانما بوصفه مؤتمرا سياسيا دوريا يجتمع فيه كل عام قادة الدول الاسلامية ورجال الراى فيها وعلماؤها من كافة أنحاء المعمورة وكتابها ليضعوا خطوطا عريضة لسياسة بلادهم وتعاونها معا .. »

فلما ذهب جمال الى موسم الحج هذا العام بدا الموقف يتبلور فى الصورة التى أرادها كأنما كان يراها بظهر الغيب .

يقول أنور السادات : « كانوا يقبلون علينا ، مسلمون من اسيا ومن أفريقيا ومن كل أطراف الدنيا ثم يحيطون بنا . انهم يريدون أن يقولوا لنا شيئا .

وخيل الى وهم يحيطون بجمال عبد الناصر مرحبين وملهوفين أن يقولوا له : أيها الثائر الذى من مصر . ماذا نصنع .

كانت الوجوه كلها تفصح عن هذا السؤال ، بل وكانت تفصح عن عديد من الاسئلة .

وجمال عبد الناصر يبدو وسط وفودهم مثل أمل هائل انتقل من ضفاف النيل الى أرض المسلمين جميعا : الحجاز .

وتحدثنا اليهم وتحدثوا الينا .

وجمال يطرق برأسه أحيانا الى الارض ثم يرفعها الى السماء وفى عينيه شىء آخر يريد أن نترجمه الى كلمات يقولها للوفود الملهوفة المقبلة عليه ، الحبيبة الى نفسه ... » .

وهو اليوم يريد أن يحقق حلما اخر : جمال عبد الناصر يريد أن

يحقق حلم جمال الدين الافغانى منذ مائة عام فى توحيدالعالم الاسلامى فى وجه الاستعمار ٠

الم أقل لكم أن جمال يريد أن يتم ماعجز عنه عرابى ٠٠ لقد كان جمال الافغانى هو الذى الهب الشعور فى مصر فكانت من أثره الثورة العرابية ٠٠

لقد وصف الشيخ محمد عبده مقاصد جمال الافغانى فى قوله « انه كان يسعى لانهاض الدولة الاسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شؤونها ، حتى تلحق بالدول القوية فيعود للاسلام شأنه ، وللدين الحنيف مجده ، ويدخل فى هذا تنكيس دولة بريطانيا فى الاقطار الشرقية ، وتقليص ظلها عن رءوس الطوائف الاسلامية وله فى عداوة الانجليز شئون يطول بيانها »

وانى لاذكر كيف أن جمال أعلن رأيه صراحة فى موقف الشرق من الحضارة الاسلامية : قبل أن يبدأ هذه الدعوة ويحمل هذا اللواء فى قوله :

« نقف نحن العرب والمسلمين فى هذا الجانب من العالم نشهد الصراع الذى يدور بين المذاهب المادية المبتدعة ، ونرقب المعارك الناشبة بين بعض الشعوب وحكوماتها بين المذاهب والذاهبين فى سبيلها من الحكومات ومن الشعوب على السواء ، لان مشكلة الفرد والجماعة التى حيرت كل المفكرين والفلاسفة فى أوربا منذ قرنين أو منذ قرون ، قد وجدت الحل الصحيح فى بلادنا منذ الف وثلاثمائة سنة ومنذ نزل القران على محمد بن عبد الله يدعو الى الاخوة الانسانية وبفضل مبادىء العدالة الاجتماعية على أساس التراحم والتكافل الاخوى والايثار على النفس ، وفى سبيل النفع العام للجماعة من غير طغيان على حرية الفرد ولا اذلال له ولا انكار لذاتيته ٠ »

وبعد فاننا نؤمن بأن الشرق ينتظر أملا ٠ لعله هذا الذى صوره جمال فى كتابه فلسفة الثورة : « لست أدرى لماذا يخيل الى دائما أن فى هذه المنطقة التى نعيش فيها دورا هائما على وجهه يبحث عن البطل الذى يقوم به ٠ ولست أدرى لماذا يخيل الى أن هذا الدور الذى أرهقه التجوال فى المنطقة الواسعة الممتدة فى كل مكان حولنا ٠ وقد استقر به المطاف متعبا منهوك القوى على حدود بلادنا يشير الينا أن نتحرك وان ننهض بالدور ونرتدى ملابسه فان أحدا غيرنا لايستطيع القيام به ٠ »

حقا لقد بدأت مصر تأخذ مكانها الحق ، فى تحقيق هذا الامل الذى طالما تشوق اليه أحرار الفكر فى الشرق ، أمثال جمال الدين الافغانى وعبد الرحمن الكواكبى وغيرهم ٠٠

مؤسسة صناعية كبرى تتجاوب مع الثورة
مشروع ضخم يتكلف مليون جنيــــه
حكومة الثورة تشجعه وترعاه لتمشيه مع مبادئها

دعت شركة النقل والهندسة بالاسكندرية فى الاسبوع الماضى الى احتفال كبير عرضت فيه احدث ما وصلت اليــه آلات انتاج اطارات الكاوتشوك .

وبعد أن شاهد المدعوون الآلات الضخمة الواردة من المانيا وأمريكا وايطاليا ، طافوا بانحاء المصنع الكبير ، واستمعوا الى شرح المهندس احمد صقر للطريقة التى سيدار بها هذا المصنع الضخم .

فى عام ١٩٤٦ دعت شركة النقل والهندسة بعض الخبراء الاجانب للاستعانة بهم فى صناعة الكاوتشوك ، ولكن لوحظ ان تقديراتهم كانت تقوم على اســاس التدخل فى سياسة وكمية الانتــاج ، فاهملت الفكرة الى عام ١٩٥٢ فبحثت من جــديد ثم اهملت نظرا للظروف التى كانت تمر بها مصر ...

وعندما قامت ثورتنا المباركة وعم البلاد الاطمئنان عاد المشروع الى حيز التنفيذ ، نظرا لاهتمام رجال الثــورة بالمشروعات الانتاجية الناجحة ، وكان لهم الفضل فى قيام مصنع البطاريات ، والدعوة لانشاء مصنع قطع الغيار وانشاء صناعة اطارات الكاوتشوك .

وتمشيا مع مبادىء الثورة فقد راعت شركة النقل والهندسة المبادىء التالية :

١ ــ قيام المشروع برأس مال مصرى .
٢ ــ طاقة المصنع الانتاجية تكفى لحاجة مصر والشرق الاوسط كله .
٣ ــ سعر الانتاج قليل حتى لايرهق المستهلك ولا تفرض حماية جمركية عليه
٤ ــ درجة جودته تماثل ، ان لم تفضل ، الانتاج الاجنبى .

وفى ابريل عام ١٩٥٤ وافق مجلس الوزراء على عرض الشركة فى ان تساعدها الحكومة باعفاء المواد الخام الرئيسية من الرســـوم الجمركية مما أدى الى زيادة الانتاج السنوى . بل وانشاء وحدة اخرى لانتاج كميات مماثلة .

ونتيجة لهذه المساعدات القيمة اصبح فى امكان الشركة الاستزادة من وســائل الانتاج الاستقلال الذى يتمثل فى :

١ ــ الاستعانة بخبرة شركة مانسفيلد الامريكية للاطارات ، وهى شركة ليست لها اية مصالح فى الشرق الاوسط .

٢ ــ المستقبل ينبىء باتساع السوق الشرائى فى الشرق الاوسط ، خصوصا وان بعض عملاء مانسفيلد نفسه قد اقبلوا على التعامل مع الشركة .

وقد اوفدت الشركة مهندسين وكيماويين للتدريب فى مصانع مانسفيلد ، كما ستوفد عمالا خبراء تكون مهمتهم تدريب العمال المصريين ...

وقد قرر المصنع الا يقتصر عمله على صناعة الاطارات ، بل كذلك صـــناعة الارضــــيات الكاوتشــوك والمراكب الكاوتشوك وجميع منتجات الكاوتشوك .

وقد تكلف بناء هذا المصنع ١٧٠ الف جنيه خلاف ثمن الارض ، وتكلف اقامة المخازن ٣٥ الف جنيه ، ودفع ثمنــا لآلاته ٢٠٠ الف جنيه لألمــانيا و ٣٥٠ الف جنيه لأمريكا و ٣٥ الف جنيـــه لايطاليا ، خلاف عمليات اخرى تبلغ ٧٥ الف جنيه .

ان الفضل لانشاء هذا المصنع يرجع الى السيد وديع سعد ، الرجل الذى تجاوبت روحه مع روح الثــــورة ، فقد استطاع بعزيمته القوية ، واخلاصه لبلاده ، أن يضع اساسا سليما لناحيـــة اقتصادية سليمة تمس اهم مصالح البلاد فى عهد الثورة .

وانه لفخـــر لمصر ... وامل زاهر للمستقبل الاقتصادى الوطيد ...



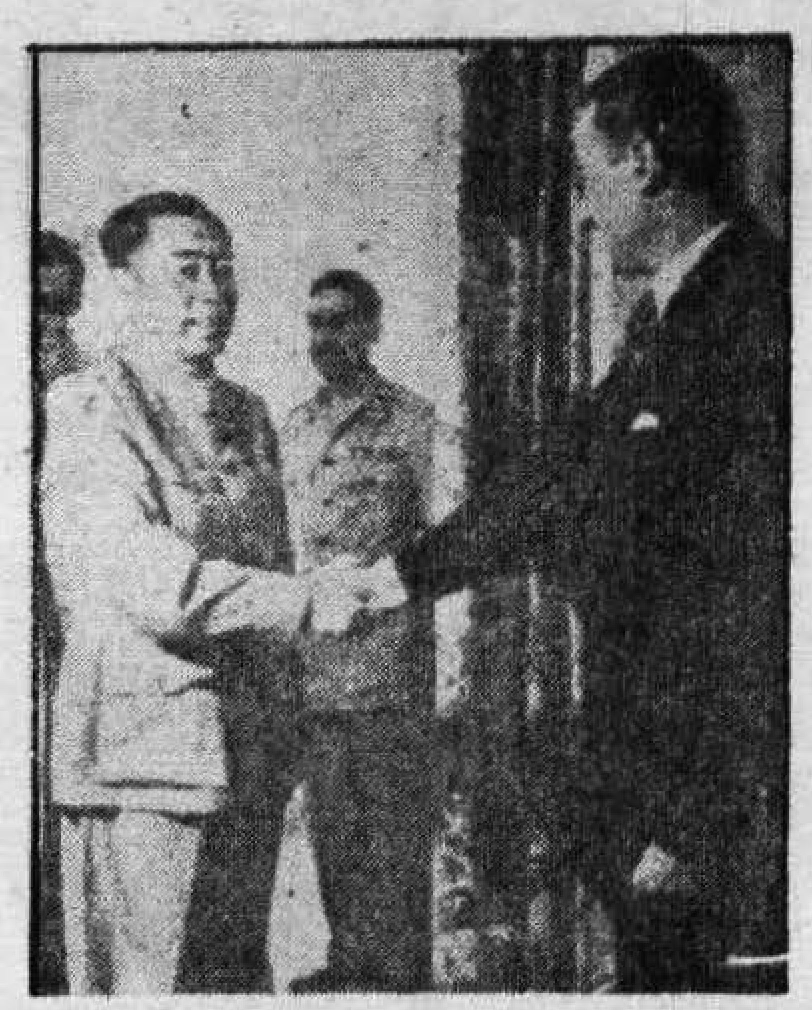
... وكانت رحلة جمال عبد الناصر الى اسيا للاشتراك فى مؤتمر باندونج . وزياراته للباكستان والهند واندونيسيا وأفغانستان وبورما جزء هام من مهمة الحاكم المصرى الجديد فان حاكما مصريامن قبل لم يجرؤ على أن يقوم برحلة عالمية من هذا النوع تمكن مصر من توثيق علاقاتها الودية بهذه الاوطان التى تلتقى بمصر فى الامال والالام .

ولقد كانت هذه الرحلة عاملا هاما فى اظهار شخصية زعيم الثورة والرجل الذى حرر مصر من الطغيان . فقد لمع جمال عبد الناصر بمواقفه الحاسمة وكلماته الرفيعة فى مؤتمر باندونج . وكان موضع تقدير زعماء الشرق واعجاب شعوبه . وفى كل مكان كان يستقبل أروع استقبال . كان المواطنون يتلهفون الى رؤية الرجل الذى حرر وطنا وأنقذ أمة ، وطرد ملكا داعرا خليعا وسحق الاقطاع ، ووزع الاراضى على صغار الفلاحين فحررهم من العبودية ورد اليهم الكرامة . وقد كان اتجاه جمال الى اسيا والى الشرق متمشيا مع سياسته

التى اعلنها منذ اليوم الاول : انه يؤمن بالعرب والشرق ويدعو الى السلام والمعايشة السلمية .

« انتى لن أدخل أى حلف ولن أرتبط خارج نطاق ميثاق الضمان الجماعى وان سياستى هى تقوية المنطقة العربية واعدادها للدفاع عن نفسها ضد أى اعتداء مهما كان مصدره . »

ورسم جمال خطوط العمل للسلام بين دول اسيا وأفريقيا بأحكام فقال « .. ان التعاون بين الشعوب الاسيوية والافريقية ليس عاملا على تخفيف حدة التوتر الدولى القائم فحسب . بل هو معوان لتلك الدول التى تمثل أكبر قارتين وسكانهما أكثر من نصف سكان العالم على التقدم . وتحقيق مستوى معيشة أرفع . وتحقيق هذا الغرض كما لايخفى لازم لهدف تال . وهو السلم العالمى فليس معنى السلم مجرد لاحرب بل انه يستوجب جهودا متضافرة متواصلة لتهيئة جو من الاستقرار السياسى والنمو الاقتصادى والعدالة الاجتماعية وكلها مقومات لاغنى لها لانشاء مجتمع عالمى سليم .



ووقف جمال عبد الناصر فى مؤتمر باندونج الذى ضم أكثر من ٣٠ دولة وضم نهرو وشواين لاى وسوكارنو وأعلن وجهة نظر مصر فى دعم السلام العالمى وتحرير الاوطان المغلوبة .

« ستعمل مصر على أن تساند الحرية والتحرير في جميع أنحاء العالم وستعمل على القضاء على الاستعمار في جميع أنحاء العالم . وستعمل على تقرير المصير للدول التي لم تتمتع باستقلالها في العالم . وان مصر ستتبع دائما سياسة خارجية مستقلة من وحى ضميرها ، وأن مصر التي تحررت تريد أن ترى جميع الشعوب حرة ستعمل مصر بكل مافي وسعها لاقرار السلام العالمي واقامة تفاهم وتعاون بين الدول . وان مصر لن تخضع لاى أسلوب من أساليب الضغط السياسي التي تتبعها الدول الكبرى لتحقيق أهدافها »

وقالت جريدة تايمز أف كراتشي أثناء زيارة جمال عبد الناصر لباكستان في ابريل الماضي « أن الباكستان تقدر كل التقدير أعمال الرئيس المصرى في بلاده . كما أن مما يبعث على تقدير أى رئيس للوزراء أن يعيش هذا الرئيس في بيت عادى من بيوت الطبقة المتوسطة وان يصف نفسه بالرجل العادى والواقع أن مصر قد أصابها الكثير من التغير في عهد حكم الثورة . فقد انتقلت البلاد انتقالا فجائيا من الاهتمام بالاثار والمتاحف والاقلية التي تتمتع بالامتيازات الى اهتمام بالصناعة وتنمية الموارد والعدالة الاقتصادية

وجمال عبد الناصر داعية السلام يعرف كيف يرسم موقف مصر بصورة لم تكن معروفة من قبل لان مصر لم يكن لها قبل الثورة كيان مستقل أو ذاتية واضحة . كانت شخصيتها ضائعة وراء ضباب الاستعمار والقصر واذناب المحتل .. ولاول مرة تقول كلمتها على هذا النحو من الوضوح والصراحة والجراة .. » مصر لاتحمل عداوه لاحد . وهى تسعى لصيانة السلام . ولذلك فهى لاتربط سياستها لسياسة أى كتلة من الكتل السياسية . ولن ترتبط بأى حلف من الاحلاف العسكرية . وانما تقف موقف الحياد التام .

« ان مصر ترفض ان تكون وقودا لحرب . ان الدول الكبرى هى صاحبة المصلحة في أى حرب . وهى التي تقررها . والتي تحدد سلاحها . وتختار ميدانها . غير عابئة بالضرر الذى سينجم عن فعل الحرب .. »

لقد كون جمال رايه في سياسة مصر في المحيط العربي والاسيوى بعد تفكير طويل . انه امن بالعروبة منذ وقت طويل منذ خاض حرب فلسطين . وشاهد كيف خذلت الجيوش وكيف طأطأت سبع حكومات رؤوسها لحفنة من اليهود كانوا مشتتين في جميع أنحاء العالم ،وكان في أعماقه أمنية ضخمة منذ عاش في خنادق فلسطين أن يعمل لمحو هذا العار .

ونفذ خطته في اعداد الحلف العربي الجديد تطبيقا عمليا لهذه المشاعر . لهذه الامال . لهذه المعاني التي تجعل العرب وحده قوية جبارة .



لقد رسم جمال عبد الناصر هذا المعنى فى كتابه فلسفة الثورة فى لوحة نادرة .

« .. ان ظروف التاريخ مليئة بالابطال الذين صنعوا لانفسهم أدوار بطولة مجيدة مشرفة قاموا بها فى ظروف حاسمة وان ظروف التاريخ أيضا مليئة بأدوار البطولة المجيدة التى لم تجد بعد الابطال الذين يقومون بها على مسرحه . ولست أدرى لماذا تخيل الى دائما أن فى هذه المنطقة التى نعيش فيها دورا هائما على وجهه يبحث عن البطل الذى يقوم به . ثم لست أدرى لماذا تخيل الى هذا الدور الذى أرهقه التجوال فى المنطقة الواسعة الممتدة فى كل مكان حولنا قد استقر به المطاف متعبا منهوك القوى على حدود بلادنا يشير الينا أن نتحرك وأن ننهض بالدور ونرتدى ملابسه فان أحدا غيرنا لايستطيع القيام به .

وأبادر هنا فاقول ان الدور ليس دور زعامة .. انما هو دور تفاعل وتجاوب مع كل هذه العوامل يكون من شأنه تجربة لخلق قوة كبيرة فى هذه المنطقة ترفع من شأنه نفسها وتقوم بدور ايجابى فى بناء مستقبل البشرية .. »

وهو يعرف موقف مصر من اسرائيل . موقف الامس وموقف اليوم أن جمال عبد الناصر الذى حارب اليهود سنة ١٩٤٨ هو نفسه جمال عبد الناصر الذى يقف اليوم على رأس الخط المصرى بعد أن تغيرت مصر كثيرا .. وعاد جيشها الى يد أبنائها .. قويا مهيبا مخيفا لكل من تحدثه نفسه بسوء ..

« .. لقد سمعت تهديدا بالامس من اسرائيل . وسمعتم أنتم أيضا

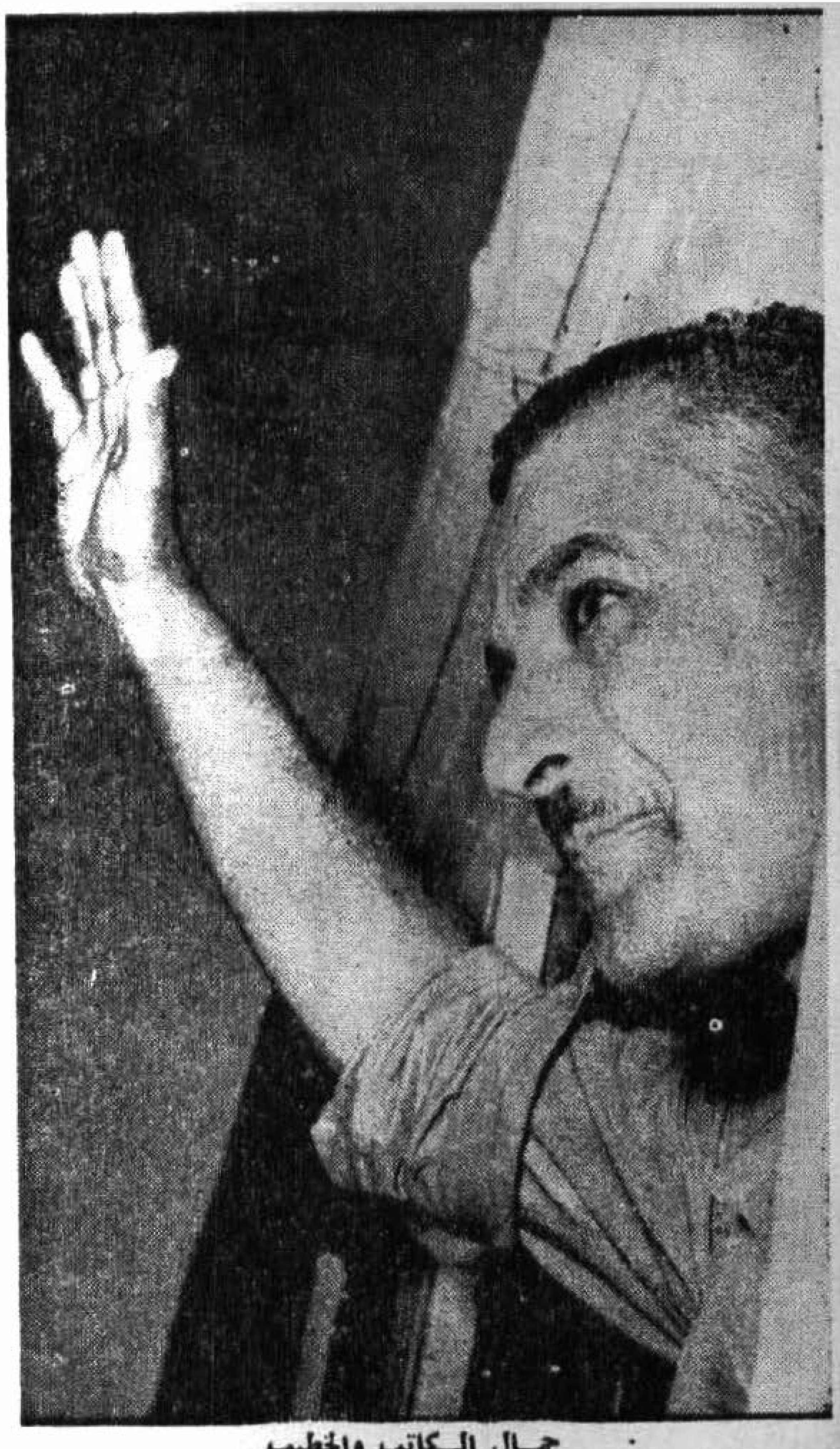
هذا التهديد . وأحب أن أقول باسمكم جميعا أننا شعب لا ينسى الاساءة مطلقا ، ولكن الاساءة تزيدنا عزما وتصميما ، فاننا لم نهزم مطلقا سنة ١٩٤٨ لان الجيش المصرى لم يقاتل أبدا ، وقد كنت فردا من أفراد الجيش من أول يوم الى آخر يوم فى القتال ، وقد رأيت بعينى كيف كنا نخرج من المعركة بدون قتال ورأيت كيف كان اليهود ينسحبون أمامنا مهرولين ..



ولا أنسى يوم معركة ١٦ أكتوبر فى عراق المنشية حين واجهنا اليهود وجها لوجه وكانوا متفوقين فى القوة والعدد وكنا فى موقع منعزل منحصر فتمسكنا بالواجب وتمسكنا بالشرف والوطن فهزمنا المعتدين ، ورأيت العسكرى اليهودى وهو يفر منهزما برغم دباباته التى ترك بعضها فى الميدان وهم يفرون أمام الجيش المصرى

ان الجيش المصرى لم يحارب سنة ١٩٤٨ بل كان ضحية الغدر والخيانة وضحية للهدنة وضحية حلفاء اسرائيل ، واننا اليوم فى عام ١٩٥٥ نختلف اختلافا كليا عن سنة ١٩٤٨ فلن نقع أبدا فريسة للغدر والخيانة ولكننا اذا دافعنا عن الوطن فسندافع ونحن نعتمد على قوتنا ..

ان جمال هو رجل السلام . وهو أول مصرى فتح أمامنا باب القوة التى ترهب العدو وباب السلام فى سبيل قيام معايشة شعبية مع جميع الامم والشعوب ؟



جمال الكاتب والخطيب

جمال الكاتب والخطيب

هذا جانب من جوانب شخصية جمال عبد الناصر نعرض له بأن نقدم أربع نماذج لأربع مناسبات ضخمة فى تاريخ مصر • حققها للبلاد • وسجلها بقلمه • وهى أنهاء حكم أسرة محمد على واعلانه الجمهورية والغاء الاقطاع واعادة الأرض الى أصحابها • وانهاء الاحتلال والاستعداد لحمل أمانة قناة السويس :

وفى الفصول السابقة كلمات منوعة من قلمه وهى فى مجموعها تعطى صورة الكاتب الدقيق الواضح الصريح • الذى يعرف الحسم ويكشف الحقائق • ويعلن الرأى قويا جهيرا • وهو لون جديد من ألوان الحياة والفكر التى بدأت مصر تستقبلها بعد ثورة ٢٣ يوليو • فلم يكن العهد بالقادة والحاكمين ومن يتولون امر البلاد أن يقولوا بوضوح • أو يكتبوا بصراحة أو يضعوا النقط على الحروف أو يقيموا المصابيح على رؤوس الطريق كانت كتاباتهم ملتوية مرنة تحتمل أكثر من معنى وتذهب الى أكثر من اتجاه وتراعى « خاطر » القصر مرة وخاطر الانجليز مرة أخرى •••

وقد أسدل الستار على هذا اللون من الكتابة والخطابة • وأعلن جمال عبد الناصر أن من حق الشعب أن يعرف الحقائق وان تبسط له الامور فى وضوح وأن يقال له كل شىء •

وجاء اليوم الذى أصبحت مصر تستمع فيه القول فتؤمن بأنه الحق • لأن الذى يقوله لايصدر الا عن ضميره هو وثقته بربه وايمانه بوطنه

أسرة محمد على فى ميزان التـاريخ

١٨ يونية ١٩٥٣

« .. حين قمنا بثورتنا هذه باسم الشعب لم يكن هدفنا شخصا معينا فحسب . وانما كنا ندرك تمام الادراك أن العلة الكبرى هي هى ذلك النظام الفاسد الذى فرضته على البلاد قسرا أسرة دخيلة عليها وعلى تقاليدها . وكان هذا النظام يعلم تماما مبلغ اتساع الهوةبينه وبين الشعب فارادان يبقى سلطانه بحكم مطلق غاشم وان يدعمه بالاستناد الى عنصر اجنبى آخر فانتهز الفرصة المواتية له ودعا الجيش البريطانى منذ سبعين عاما ليسند عرشا متهالكا تحت سخط المصريين . ومن ذلك الحين قامت علاقة وثيقة على أساس المصلحة المشتركة المتبادلة بين هذين الغريبين وضحيتهما الأولى الشعب المصرى . ولم يقف الامر عند هذا الحد بل عمل الاثنان على أن يجعلا من الاقطاع قوة يعتمدان عليها وقد بلغت هذه المحالفة الثلاثية وهذا الاسفاف فى الفساد والظلم فى شخص فاروق فقمنا والشعب بالثورة وطردنا الطاغية وحطمنا الاقطاع ، وبعد ذلك صار لزاما علينا أن نقضى على هذا النظام الغريب الفاسد . ومن هنا كان زوال الملكية أمرا محتوما .. »

* * *

الفساد الاقطاع

٩ سبتمبر ١٩٥٢

كان الظلم الاجتماعى يتجسم فى كابوس الاقطاع البغيض فقد ورثنا طبقة من الحكام والاشراف ترفعوا عن الشعب وراحوا يستمتعون بنفوذهم وأموالهم . وانقسمت البلاد الى معسكر العبيد وطائفة الاسياد ورأينا الاستبداد السياسى يتجسم فى ماردين هدامين هما الاحتلال الاجنبى البغيض والتاج المستهتر العربيد
وبين هذا وذلك استغل النفوذ واستبيحت الحرمات وأثرى من أثرى على حساب الضعفاء والمظلومين وعمت الرشوة ، ومن كل مكان جأرت اصوات الشعب المغلوب على أمره

الجـلاء

٢٧ يولية ١٩٥٤

« ... اننا نعيش الآن لحظة مجيدة فى تاريخ وطننا . اننا نقف على عتبة مرحلة حاسمة من مراحل كفاح شعبنا .

لقد وضع الهدف الأكبر من أهداف الثورة ، منذ هـــذه اللحظة موضع التنفيذ الفعلى فقد وقعنا الآن بالحروف الأولى - اتفاقا ينهى الاحتلال وينظم عملية جلاء القوات البريطانية عن أرض مصر الخالدة وبذلك تخلص أرض الوطن لابنائه شريفة عزيزة منيعة . بعد أن قاست اثنين وسبعين عاما مريرة خزينة .

اننى اسرح بخواطرى فى هذه اللحظة المجيدة عبر أسوار الحيـاة الى الذين جاهدوا من أجل هذا اليوم . ولم يمتد بهم العمر ليعيشوه اسرح بخواطرى الى الرحبات المقدسة التى تعيش فيها ارواحهـــم الخالدة واشعر انهم يتابعون مافعلنا كما تابعنا نحن كل مافعلوا وحملنا الامانة بعدهم ورفعنا المشاعل على الطريق .

اننى اتجه اليهم بقلب شعب واتجه اليهم بوفاء جيل . اليهـم جميعا . الزعماء الذين كافحوا : احمد عرابى ومصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول . والشباب الذين باعوا ارواحهم للفداء على كل بقعة من ثرى الوطن .

اتجه اليهم بقلب شعب وبوفاء جيل وأقول لهم : سوف نمضى على الطريق لن نضعف ولن نتخاذل . ولن ننسى الامانة التى حملناها ولا الواجب الوطنى الذى عاهدنا الله أن نقوم به .. »

* * *

قناة السويس

١٧ نوفمبر ١٩٥٤

« .. فى الثـــلاثين من نوفمبر ١٨٨٤ منح فــــردناند دلسبس ترخيصا بتأسيس الشركة العالمية لقناة السويس البحرية توصل مابين البحر المتوسط والبحر الاحمر بانشاء طريق للملاحة يصـــلح دائما لمرور السفن الكبرى ولاستغلال هذا الطريق ، على ان تكون مدة الامتياز هذا اليوم السابع عشر من نوفمبر ومنذ خمس وثمانين سنة افتتحت القناة للملاحة بعد ان تم حفرها واعدادها . وبدأت مدة الامتياز فى السريان . ولم يبق منها اليوم سوى اربـــع عشرة

سنة وهو مايعد في عمر هذا الامتياز فترة نهايتها ٠
وانها لمناسبة نقف عندها قليلا نسدد الطرف نحو ماضينا لكى ننسب اليه حاضرنا ثم نقيس عليه مستقبلنا

ان من يستعرض الاحداث التى عاصرت انشاء برزخ السويس وتلك التى تلت هذا الانشاء لايفوته ان يدرك ماكان للقناة من أثر خطير فى تاريخ بلادنا جعلت منه تاريخا حافلا بالعبر مليئا باليم الذكريات

الم تدفع مصر فى هذا الطريق العالمى للملاحة ثمنا غاليا ألم تهدر حقوقها فى تلك الفترة من تاريخها ؟ ألم تكن القناة من الاسباب الرئيسية التى دفعت بالاستعمار الى احتلال بلادنا بعد ان بيعت اسهم مصر فيها بابخس الاثمان ؟ ألم يتخذ الاستعمار من القناة ذريعة يسوغ بها بقاء الاحتلال ومن الدفاع لربط مصر بعجلته ؟ ذلك عهد أحمدا لله أن سجلنا نهايته وانقضاءه باتفاق الجلاء ووالله ماكان لهذا العهد أن ينقضى لولا المشقة ٠ ووالله ما انقضى الا بفضل كفاح طويل مرير استغرق من الاجيال ثلاثة كفاح بداه اجدادنا وحمل شعلته اباؤنا واوقد جلوته شبابنا ٠
واذا كان لهذا الجيل وهويؤدى التحيةللاجيال السابقة أن عبدت له الطريق اذا كان له أن ينظر الى حاضره بعين مستبشرة فلن تقر عينه بالمستقبل الا اذا شهد الله على ان يقوم فى الحاضر بمسئولياته كاملة قبل الأجيال القادمة ٠

لقد كانت مصر للقناة ذلك هو الماضى ٠ ولم تعد مصر للقناة ذلك هو الحاضر ، وسوف تكون القناة لمصر ذلك هو المستقبل ٠

انى اعلن باسمكم بداية الفترة التى تمهد لتتسلم مصر مرفق قناة السويس عند انتهاء مدة الامتياز والقيام على ادارته واستغلاله ، وأنه لواجب على حكومة الثورة أن تخص بعنايتها الفائقة قناة السويس هذا الجزء الذى لايتجزأ من بلادنا وان تحرص كل الحرص على ان تقوم مصر بالاعباء التى تقع على عاتقها وعلى ان هذا الطريق العالمى للملاحة يظل مفتوحا صالحا مدارا خير اداره ٠

واذا كنا نبدأ هذه الفترة من الآن فلكى نتق الوقوع من جديد فى اخطاء الماضى عندما كانت المشاكل تفاجئنا عاجزين واتباعا لمنطق التبصر والحكمة وهما يقضيان بالتمهيد ليوم انتهاء الامتياز باجراء الدراسات اللازمة واعداد العدة لمواجهة المشاكل الدقيقة التى تلازم ادارة مثل هذا المرفق واستغلاله وجعل مصر فى المرتبة التى يتيح لها النهوض بتبعاتها كاملة على أحسن وجه ٠٠ »



أما جمال عبد الناصر الخطيب فهو ذلك المحدث المتزن الجهير الصوت • الواضح العبارات • الذى تبدو بساطته فى عباراته السهلة ويبدو عمقه فى تصريحاته الواضحة • ومعانيه المركزة .

وهو الذى أعلن فى اكثر من مناسبة أنه لايريد أن يثير العاطفة بقدر مايرغب فى مخاطبة العقل وهو الذى آمن بأن الزعماء فى الماضى كانوا يخدعون الشعب بالالفاظ البراقة والكلمات اللامعة • التى أشبه بالطبل الاجوف لان وراءها لاشىء فهو يقول مايقول فى وضوح وثقة وصراحة متجها الى العقل لا الغريزة يستهدف مما يقول هدفا هو ان يسمو بنفس هذا الشعب الى الذروة فيجعله يؤمن بوطنه ويعمل له وهو ينعى السلبية والعاطفية ويريد منا ان نعمل وأن نتكتل فى سبيل مصر وفى سبيل خلق مصر الكبرى بجهودنا وايدينا

انه خطيب الثورة الذى يصنع الغد ويكتب التاريخ ويواجه الحقائق وفى صوته رنة الثقة التى تنفذ الى القلوب فتملأها قوة وثقة وايمانا بالمستقبل

وفى النماذج المختلفة فى فصول هذا الكتاب صورة واضحة لجمال الخطيب الذى يريد أن يصنع أمة • وينشىء جيلا جديدا انمحت من نفسه رواسب الماضى وعقده وبدا ينفتح للمستقبل واثقا عاملا مكافحا ليكون « بذرة » الثورة التى تحمل اللواء وتسير بالركب الى غايته الموفقة المرتجاه .

خاتمــة ...



عاطفة الابوة : قبــلة على جبين الابن

بعد قرن ونصف قرن من حكم أسرة محمد على الظالمة استطاع جمال عبد الناصر أن يحرر مصر من حكمها • وان يسحق الملكيــة جملة وينقل مصر الى نظام الجمهورية وفق أسلوب ديمقراطى اشتراكى مايزال يرسى قواعده ويرسم خطوطه الرئيسية هو واخوانه دائبين منذ ثلاث سنوات فى عمل متصل •

وبعد سبعين عاما من استعمار بريطانى غاصب وضع يده على كل شيء ، ودمر كرامتنا وأذل شخصيتنا وفرق شرفنا يجيء جمال عبد الناصر فيحرر مصر من الاحتلال ويخلصها من الاستعمار • ويمزق كل هذه الحجب التى كانت تذل شخصيتها • ذهب الغاصبون وذهب

أعوانهم وأذنابهم وبدأت مصر تعيش فى فجر جميل مشرق .
هذا الرجل الذى حرر مصر • وحول تاريخها • ونقلها من وضع الى وضع •• يقف كالعملاق بجوار الاعلام والعظماء والابطال والقادة الذى عرفهم التاريخ ، يقف جنبا الى جنب ••

لقد استطاع جمال أن يحقق ما حققه محررو الاوطان دون أن يريق قطرة دم واحدة وحصل لمصر على ما عجز عنه سياسيو مصر فى ثلاثين عاما كاملة • وأتم رسالات كانت تنتظر من يتمها •

وبعد فهذه لمحات عن « جمال عبد الناصر » والثورة • ما أراها تعطى الصورة التى أرجوها لمحرر مصر • ولكنها تمثل خطوطا خفيفة لهذه الشخصية الضخمة •

حقا •• قد يقول بعض الناس : هل يمكن أن نكتب عن الاحياء ، وخاصة من هم فى مثل مكان جمال عبدالناصر الذين لايزالون يحققون هدفا ضخما ، ويسيرون فى خط عريض من الكفاح ولم يصلوا بعد الى الغاية البعيدة •

والواقع اننا نحن لا نؤرخ هنا لجمال عبد الناصر • ولكننا نعرض لجانب يسير من حياته ، ونرسم صورة نفسية له ، ونصور شخصيته وطبيعته وملكاته ، ونضع بعض النقط فوق الحروف فى حياة رجل وهب نفسه لمصر وحقق لها أكثر من نصر •

ان التاريخ لايستطيع أن يتجاهل جمال محرر مصر ، ولا مكانته ولا أثره ولا ما حققه لبلاده ولا التحول الذى نقل اليه بلاده • هذا الاثر الذى يستحيل أن يمحى ، والكسب الذى ظفرت به مصر •

وبعد فليس هذا الكتاب الا جزءا يسيرا من قصة جمال عبد الناصر والثورة ، وبقى جزء آخر هو « جذور الثورة » وكيف عاشت فى نفس جمال وهو ماسيكون موضوع كتابنا القادم الذى نرجو أن يظهر قريبا

« أنور الجندى »

جريدة الجمهورية فى ١٩٥٥/٧/٧

مؤلفات أنور الجندى

كتب تحت الطبع

موضوعات الكتاب

صفحة

« دار الجمهورية للطباعة »